اللغة العربية في إسبانيا



د. إغناثيو كوتيرّث دي تران كومث بنيتا

د. إغناثيو فيراندو فروتوس

د. نيقولاس روزير نبوت

د. باربارا بولويكس غالاردو

تحرير: د. ماء العينين ماء العينين العتيق

العربية في العالم ٣

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for The Arabic Language



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجاريا

www.kaica.org.sa



اللغة العربية في إسبانيا

د. ماء العينين ماء العينين العتيق

الطبعة الأولى

1436 هـ – 2015م

جميع الحقوق محفوظة

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ – ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٦هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
اللغة العربية في إسبانيا. / مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض، ١٤٣٦هـ
.. ص؛ ..سم
ردمك: ٥-٧-٩٠٦٧٣-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة العربية- بحوث- ٢-اسبانيا ٣-العرب في اسبانيا
أ. العنوان
ديوي ٤٠١,٧٢ ١٤٣٦/٨٠٨٠
رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٣٢٣
ردمك: ٥-٧-٩٠٦٧٣-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
WOJOOOH
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية – الرياض
الهاتف: 4562410 الفاكس: 4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة،
سواءاً كانت إلكترونية أم يدوية أم ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المركز بذلك.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

كلمة المركز

إذا ذكرت إسبانيا تداعت إلى الذاكرة العربية فيوض من التاريخ والمشاعر والصلات الثقافية الموغلة في الزمن، حيث كانت الأندلس جنةً وفضاء أدبيا أقرب إلى الخيال، وتاريخا يروي قصص ولادة وابن زيدون وأشعارهما، وأمثالهما من الشعراء، كما يحكي حكايات العلم، والعدل، والترف، والذوق الرفيع، ونتيجة لهذا التاريخ الجمالي المتراكم المكتوب بالعربية في إسبانيا صارت الأندلس حلماً عربياً وقصة تروى دون ملل في المساءات السعيدة، لم يكن العرب غزاة غاشمين، ولم يرو عنهم إلا العدل ونشر العلم، وبث المعرفة، وإضاءة الأنوار بما يتجاوز حدود الأندلس إلى أصقاع أوروبا حين كانت تتخبط خطواتها في عصور الظلام؛ وذلك ما منح الحكم العربي للأندلس قيمة يُفتخر بها .

وحين دارت الأيام دورتها، انحسر النفوذ العربي في إسبانيا، ولكن أنّى لهذا الإرث العظيم أن يختفي، لقد ظلت شواهده حاضرةً في الإرث العمراني، وفي التراث المعرفي، بل في اللغة الإسبانية والتواصل الثقافي، كما ظل حاضرا في الذاكرة الجماعية، تمد شواهده المادية والمعنوية أعناقها.

ولا شك أن هذا التزاوج بين الثقافات والشعوب هو مما يثري الثقافة، ويعزز قيمة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الإنسان، ويعدّ قيمةً مضافةً للأمم التي تتصف به، يعينها على القوة والتقدم، ويمدها بأسباب الفخر بالماضي والقدرة على المضي قُدُماً.

وإن مما يدعو إلى الاعتزاز ما رآه المركز في إسبانيا من اهتمام مشكور باللغة العربية وتاريخها، وتخصص جمع من الأساتذة المتعمقين فيها، واهتمام عدد من الكليات ومراكز البحث بها، وهو ما دعا المركز إلى أن يكلف محرر الكتاب(د.ماء العينين العتيق) بالتواصل مع المؤلفين الإسبان، واستكتابهم لهذا الكتاب الذي يسعى إلى الكشف عن اللغة العربية في إسبانيا، تاريخها وواقعها، راغبين في التعريف بهذه الصلة الثقافية، وساعين إلى أن يكون هذا العمل مفتاحا لأعمال أخرى ينهض بها المركز أو ينبّه عليها.

وتودّ الأمانة العامة أن تشيد بجهد السادة المؤلفين، وجهد محرر الكتاب، على ما تفضلوا به من التزام علمي لا يستغرب من مثلهم، وقد ترك المركز للمحرر مساحة واسعة من الحرية في اختيار الباحثين ووضع الخطة العلمية -بالتشاور مع المركز- والعمل على تنسيق البحوث ومراجعتها؛ سعياً إلى تحقيق أقصى ما يمكن تحقيقه من الإفادة العلمية، مع الأخذ بالاعتبار أن الآراء الواردة في البحوث لا تمثل رأي المركز بالضرورة، ولكنها من جملة الآراء العلمية التي يسعد المركز بإتاحتها للمجتمع العلمي وللمعنيين بالشأن اللغوي لتداول الرأي، وتعميق النظر.

والشكر والتقدير الوافر لمعالي وزير التعليم المشرف العام على المركز، الذي يحث على كل ما من شأنه تثبيت الهوية اللغوية العربية، وتمتينها، وفق رؤية استشرافية محققة لتوجيهات قيادتنا الحكيمة، ويمتد الشكر والعرفان لسعادة رئيس مجلس أمناء المركز، وأعضاء المجلس، الذين يسير المجلس بهدى من توجيهاتهم ورؤاهم.

والدعوة موجّهة لجميع المختصين والمهتمين بتكثيف الجهود نحو النهوض بلغتنا العربية، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.

الأمين العام

د.عبدالله بن صالح الوشمي

■ ■ ■

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

توطئة

د. ماء العينين ماء العينين العتيق
جامعة غرناطة

ليس بِدعا أن تشعر، إبّان تجوالك في إسبانيا، بروح عربية تحفّك أنّى حللت، حتى لا تكاد تنوء فيها بالغربة، كما في غيرها من بلاد أوروبا. هذه الروح التي تسري في إسبانيا، هوائها ومائها، وأشجارها وديارها، لا تفتأ تراها جليّة على جدرانها، ولا تنفكّ تحسّ بها خفيّة في سكّانها.

هو نداء تلك الروح العربية ما أهوى أبناءَ الضاد إلى هذه الأرض أقدامَهم، وأسكنوها أحلامَهم، إذ نشأت عُرى ممتدّة في القرون بينهم وإياها. هنا عانق الشيحُ والقيصومُ النّرجسَ والرّمان، وشمَّت نخلةُ الدّاخلِ على بساط الوادي الكبير. لم تغادر العربيةُ إسبانيا بعد الأندلُس، بل ظلّت كامنة تَلوح طَوْرا وتحتجب طوْرا، على تبايُن الطّالبين.

كان ممّن استجابَ داعيَ الأندلس، منذ أشهر، وفدُ مجلسِ أمناء مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، مؤتلفين في الاجتماع الثالث عشر للمجلس، بحاضرة غرناطة. وإذ زار الوفدُ عدداً من الجامعات العريقة في إسبانيا، للتباحث بشأن الاهتمام باللغة العربية وتدريسها ومسارات خدمتها، فإنهم لم يُغفلوا الوقوفَ على أهم الآثار العربية بها، أَنْ زاروا المسجدَ الجامع بقرطبة، وقصر الحمراء بغرناطة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هناك بين نهر حَدرّة وجبال الشّارات، حيثُ يُكلِّلُ تلَّ السَّبِيكة قصرُ الحمراء، جمعتني وأعضاءَ الوفدِ أحاديثُ رائقةٌ عن الأندلسِ تاريخا وأدَبا، مستَوْحِينَ مِدادَها من أرجاءِ الحمراء وجنّاتِ العريف. وهناك نشأتْ بذرةٌ عن فكرة هذا الكتاب.

ما إنْ عاد أعضاء الوفد إلى بلادهم، حتى أَلْفيتُ الأخَ الفاضِل الدكتور عبد الله الوشمي، الأمينَ العامَّ للمركز يهاتفني بالفكرةِ مكتملةَ العناصرِ: العمل على تحرير كتاب عن «اللغة العربية في إسبانيا»، بُغيةَ تعميق التواصل الثقافي بين الحضارتين العربية والإسبانية، فضلا عن رغبة المركز في الاحتفاء بالجهود المميَّزة للعلماء الإسبان في دراسة اللغة العربية ونشرها، على أن يكون مُحرِّرو موضوعاته من الإسبان غيرِ ذوي الأصول العربية، وأن يقدّموا أعمالهم باللغة العربية.

مأخوذا بِسحر الفكرة وتميّزها، باشرتُ الاتّصال بعدد من أبرز أساتذة الدراسات العربية بِغيْرِ واحدةٍ من الجامعات الإسبانية، وكنت أشرح لهم الفكرة العامّة للكتاب والأهداف المتوخّاة منها، فثبتت استجابةُ أربعةٍ منهم في آخر الأمر، هم الذين وُجد لهم عزمُ العمل في الكتاب مِن الأساتذة الإسبان، وينتمون إلى جامعات مدريد وقادس ومالقة وغرناطة.

بعد الاتفاق مع الدكتور الوشمي على موضوعات الكتاب وتقسيمها، تمّ التنسيق مع الأساتذة وفق خطة العمل المحدَّدة سلفا، ومن ثَمّ رُتِّبت الموضوعات لتعطيَ صورة تَنحو الشُّمولَ في المتعلِّقِ بعنوان الكتاب، وذلك على النّسقِ القابِل:

– تاريخ اللغة العربية في إسبانيا، ونبذة عن كلّ من «ألخاميا» و«ألغارابيا» اللتين تُحيلان إلى اللغة العربية عند الإسبان الأوائل، ودوافعُهُم لاستعمالها.

– أصول الكلمات العربية في الإسبانية منتقلةً عبر لغات أوروبية أخرى، أو عبر المستعربين المسلِمين والنصارى، وعبر العربية الفُصحى والعاميّات العربية المشرقية والمغربية، وتطوّر نسبة دخول الألفاظ العربية للإسبانية على مدى العصور.

– نسبة الألفاظ العربية في اللغة الإسبانية حسب مجالات توزعها، بين علوم النبات والفلك والفيزياء والحيوان، والرياضيات والطقس والمعادن والكيمياء والطبّ.

– الحضارة العربية مكوِّنا ثقافيّا للهويّة الإسبانية، إثرَ ظهور تيّار يتنامى تأثيرُه، يَتبنّى التجافيَ عن نبذِ العربية الذي كان سائدا قبلُ، ويعدّ هذه الحضارة جزءا مهمّا من تاريخ

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إسبانيا وأوروبا، ويعتبِر اللغة العربية مرتبطةً تمام الارتباط باللغة الإسبانية لأنها جزء من تاريخ إسبانيا عبر العصور وهويّتها الحاليّة.

– تطور الخط العربي في التاريخ الإسباني، وقابليّة هذا الخطّ لاحتواء مختلِف اتّجاهات التّشكيل الجماليّ، لِيُسْر تطويعه وللإمكانيّات الزّخرفيّة البديعة التي يُتيحُها، وتفرّد الأندلس بخطّ مرَوْنق ذي مميّزات فنّية خاصّة، بعد بداياته التي تَستلهمُ النمط الكوفيّ والنّسخيّ وغيرهما.

– الكتابات العربية في الآثار الإسبانية، أو بالأحرى ما تبقّى منها بعد فسادِ قسمٍ هامّ منها، جرّاءَ الظروف السياسية والاجتماعية التي أعقبت خروج العرب من مَعاقلهم بإسبانيا تِباعا، ونتيجةَ التّأخر في أشغال التنقيب عن الحفريات التي تهمّ الحقبة العربية.

– أصنافُ الكتابات من الآيات القرآنية الكريمة إلى الأدعية والأشعار والحِكم والأمثال، وأسماء السلاطين وتواريخ تشييد المباني وديباجاتها، وهي تُلفَى في المساجدِ القديمة والقصور والمباني، وعلى شواهد القبور، والأسلحة والآلات المعدنية، والمسكوكات والمجوهرات والخزف والمنسوجات،

– لمحة عن المصاحف الكريمة في إسبانيا، وإشارات إلى توزّع أماكنِ وجودها، ونسّاخِها ومصادرِها،

– تعليم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الإسبانية، حسب التكوينات الجامعية المعنية بتدريس العربية والشهاداتِ والمستويات والمقاعدِ الطلاّبية وعدد ساعات الدراسة بكلّ جامعة، وحسب مسارات المعاهد الرسميّة للّغات التي تُدرِج العربيةَ ضمن مُقرَّراتها، مع ذكرِ جملةٍ من المناهج والكتب والموادِّ التعليميّة التي تتوسّلُ بها هذه المعاهد في تدريس العربية، حسب المستويات المختلفة للطلاّب.

– التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية حسب مناطق إسبانيا، من أراغون الثغر الأعلى، لبلنسية شرق الجزيرة، لطليطلة المركز، لغرناطة الأندلس، ثم تشكّل العربية الأندلسية التي أخذت خصوصيتها انطلاقا من بنْيَتَيْ اللغتين.

– مستويات التداخل بين العربية والإسبانية، من حيث الصوت والصرف والتركيب والمعجم، وأشكال هذا التداخل ومجالاته، على مستوى كلّ من الجغرافيا والدين والمطبخ والبناء والزراعة والاقتصاد، واللباس والأثاث والعسكر والنبات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

والحيوان والعمران والطب.

– ظاهرة الاستعراب الإسباني مدخلا لفهم المجتمعات العربية وثقافتها، باعتبار الاستعراب مباينا للاستشراق، حيث إنّ هذا مرتبط غالبا بنزوع نفعيّ من المجتمعات الشرقية ونظرة متعالية إزاءَها، وذاك لا يعدو أن يكون دراسة استطلاعية للثقافة العربية، بهدف فهمها.

– المراكز والمؤسسات وهيئات البحث المعنية بالدراسات العربية في إسبانيا، وتقديم صورة شاملة عن الأعمال التدريسية والبحثية والتعاونية لكلٍّ منها، بدءا بالجامعات، ومرورا بالهيئات البحثية الرسمية والخاصّة، وانتهاء بالمؤسسات التي لا تختصّ بالدراسات العربية وإنّما تمثّل هذه جزءا من اهتماماتها يتقاطع ومساراتها العامة.

هذه العناصر آنفةُ الذّكر هي أبرز ما حَوته مقالات السادة الأساتذة الإسبان حول اللغة العربية في إسبانيا، على تداخلٍ يسيرٍ بينها، ويقتضي المقامُ الإشارة إلى أنّهم من الأكاديميين البارزين الذين أصدروا العديد من المقالات بالعربية، في موضوعات شتّى، حمّلوها جُذاذا من أبحاثهم القيّمة.

لقد استفدتُ كثيرا خلال مراجعة موضوعات الكتاب الذي بين يديكم، وأنار لديّ العديد من مُبهَمات المسائل، وهو ما ألهَمني أنّ حصافة القارئ ستُسْلمه إلى مثلِ ما عشتُه من متعة، عبر اقتناص معانيها الظاهرة، واستخراج إحالاتها المُضمرة.

إنّني إذْ أحبو الشكرَ العميمَ كُلاًّ من مركز الملك عبد الله، قائِما بأمرِ الكتابِ فِكرا ونَشرا، والسادة الأساتذة الإسبان، أعمدة أبحاثه، على ما بذلوا من جهد بحثيّ مفيد، أتطلّعُ إلى أن يساهمَ هذا العملُ، غيرَ مُدْحَضٍ، في تحقيق أهدافه بتعزيز مكانة اللغة العربية في إسبانيا.

والله الموفّق والهادي سواءَ السبيل.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الاستعراب والجهات التعليمية والبحثية الأسبانية المتخصصة في اللغة والثقافة العربيتين

د. باربارا بولويكس غالاردو
جامعة غرناطة

المقدمة

عندما يقدم أي شخص على دراسة التاريخ الأسباني وبالأخص في العصور الوسطى، فإنه سيكون على يقين من التأثير العميق الذي تركه الماضي الأندلسي على الجوانب المختلفة في ثقافتنا، ابتداء بالمصطلحات والمفردات العربية التي تزخر بها اللغة الأسبانية، والتي تبلغ قرابة أربعة آلاف مصطلح، إلى الشواهد والآثار العمرانية الرمزية أو الملامح العديدة في فن المأكولات والمشروبات فضلا عن تكوين ثقافة علمية وتقنية أصيلة استفادت منها أوروبا ونهلت من معالمها بدرجة كبيرة.

على الرغم من هذا التأثير الواضح في هذا الجانب والجوانب الأخرى، كانت هنالك ميول واتجاهات مختلفة لإنكار تأثير الأندلس في صياغة كل من التاريخ والهوية الأسبانييْن، حيث تولد من هذا السلوك مناظرات حادة وجدل عنيف بين المفكرين البارزين.

ولعل أفضل مثال على هذه الظاهرة ذلك «الصراع» أو الجدل والسجال الأكاديمي الذي دار حوله لغط كثير، والذي قاده العالم في فقه اللغة التاريخي أميريكو كاسترو ١٩٧٢م والمؤرخ كولوديو سانشيز البورنوز ١٩٨٤م.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ولعقود عديدة بعد لا يزال ذلك الجدل قائما، حيث إننا حتى يومنا هذا نجد مستعربين في منزلة بيدرو مارتينيز مونتافيز يضيفون أصداء وانعاكاسات عميقة على هذه المسألة الجدلية، ولعل عمل مونتافيز الأخير «أهمية الأندلس ورمزيتها» خير مثال على ذلك[١]، حيث يؤكد على ضرورة إبراز حقيقة الأندلس كشأن عام أو موضوع مشترك بين كل من الشعبين العربي والأسباني، ونتيجة لذلك وحسبما ينص عليه الباحث هنا يجب أن يكون التأثير الأندلسي يحمل انعكاسا مشتركا وأن يكون تقييم ذلك الانعكاس من منظور عربي أسباني مزدوج.

لقد قال عالم الاجتماع الفرنسي موريس هلبواش[٢] ذات مرة «إن ذاكرتنا لا تسعف نفسها فيما يتعلق بالتاريخ، المستذكر أو المستظهر أو المكتسب عن طريق المعرفة، بل بالتاريخ المعيش». إن الاستعراب الأسباني ليس كغيره من أوجه الاستعراب التي نمت في بقية أوروبا، لقد تفرد أيما تفرد في سبر غور روعة ماضي الأندلس المعيش على مدى ثمانية قرون، واستكشافه وإثرائه بالنقاش والجدل العلمي، وكذلك نشر تراثه العظيم. وذلك مرده إلى أن الأندلس بأنوارها وأدوارها وأضواءها وظلالها جزء لا يتجزأ ولا يمكن عزله عن تاريخنا، وذلك بالقدر نفسه الذي لا تزال به جزءا لا يمكن نسيانه أو حذفه من ذاكرة تاريخ العالم الإسلامي.

١- حول هذه المقدمة انظر: (التاريخ والنظرية) History and Theory pp.٢٣-٤٣، ٢٤/ ١٩٨٥،١،، (التاريخ الأسباني وحقيقة شبه الجزيرة الايبيرية)،«Spanish Historiography and Iberian reality Hillgarth، J. N. (هيلجارث، ج، ن)
(المرية: مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية) Almería: Fundación Ibn Tufayl de Estudios Árabes، . كذلك راجع مقالة حول محاضرات اميريكو كاسترو حول المستعربين الأسبان"Lectura de Américo Castro por un arabista español: impresiones y sugerencias» (قراءات اميريكو كاسترو من وجهة نظر مستعرب أسبانيا: انطباعات ومقترحات: en Revista del Instituto de Estudios Islámicos، Madrid، ٢٢ (١٩٨٣)، pp. ٢١-٤٢.

٢- (الذاكرة الجمعية) La memoire collective Paris: PUF ١٩٦٨، p. ٤٣

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الاستعراب الأسباني أهو استشراق داخلي؟

إن الخصائص الفريدة لعلاقة أسبانيا بالثقافة العربية، والتي تم الكشف عن أبرز نقاطها مؤخرا، أدت إلى ظهور جدل فقهي لغوي جديد: أهو الارتباط أم الانفصال ذلك القائم بين الاستعراب الأسباني والاستشراق؟

بالرجوع إلى التعريف الرسمي للحركتين، يمكن إدراك الجوانب المتشابهة في مجالات الدراسة ذات العلاقة بكل منها، فبينما يتم تعريف الاستشراق بأنه «معرفة حضارة الشعوب الشرقية وعاداتها»[1]، فإن الاستعراب هو التخصص في اللغة والثقافة العربيين. وعلى الرغم من أن المدى العلمي لهذا التعريف الأخير يبدو أكثر محدودية إلا أن موضوعه أو مادته العلمية ككل هي جزء من المنطقة الجغرافية التي تغطيها الدراسات الاستشراقية، مع خاصية إضافية تتمثل في الأمل في التكامل اللغوي، وهذا أمر لا ينطوي عليه الاستشراق بالضرورة.

إن التطور التدريجي للدراسات الشرقية، داخل النطاق الأكاديمي، قد أنهى إدراج المدرسة الخاصة بالاستعراب الأسباني ضمن الحركة الأكثر عمومية للاستشراق في أوروبا. وحسبما أوضحه الكاتب بيرنارد لويس أنه «مع تقدم كل من الاستكشاف والدراسة، أصبح مصطلح الاستشراق غير كاف، وأن الدارسين للشرق لم يعودوا يعملون ضمن فرع أو منهج دراسي وحيد، بل بدأوا يتفرعون إلى عدة مناهج ويتوزعون عليها، كما أن هنالك نزعة متنامية بين الدارسين وفي أقسام الجامعات ذات الاهتمام بهذه الدراسات إلى استخدام كلمات ومسميات أكثر تحديدا، فقد أصبح الدارسون يسمون أنفسهم بأسماء مثل عالم في فقه اللغة التاريخي أو مؤرخ ... الخ من أجل التعامل مع الشؤون الشرقية، وحسب علاقتهم بتلك الموضوعات، أصبح الدارسون يستخدمون عبارات مثل «عالم في الشؤون الصينية» و»عالم في الشؤون الهندية» و»عالم في الشؤون الإيرانية» و»عالم في الشؤون العربية»، ليعطوا تعريفا أكثر التصاقا بالمنطقة والموضوع

---

١ – يعني هذا شعوب الشرق على الرغم من أن هذا المصطلح يشمل المغرب، حسب تعريف الأكاديمية الملكية الأسبانية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الذي يدرسونه وأكثر تحديدا لها[١٢].

إن هذا الاقتباس، مع طوله، يوضح ويشرح بحجج واضحة جلية لماذا نجد في الأقطار الأوروبية التي نشأ وتطور فيها كلا الموضوعين، مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، أن الموضوعات ذات الاهتمام بالاستعراب تتداخل كثيرا مع تلك التي يشملها الاستشراق. ويعد ادوارد سعيد أول من تطرق إلى الخاصية ذات الأفرع المتعددة لهذا الموضوع، حيث ذهب إلى أن «أي أحد يقوم بالتدريس أو الكتابة أو البحث في الشرق، سواء أكان ذلك الشخص عالما في علم الإنسانيات (الانثربولوجيا)، أو الاجتماعيات، أو في التاريخ، أو في فقه اللغة التاريخي (كما هو الحال بالنسبة للمستعرب) فهو مستشرق، وما يفعله هو استشراق»[٣].

بيد أن ثمة وجهات نظر متعارضة قد نشأت عند تقييم الطبيعة الاستشراقية للاستعراب الأسباني، ذلك أنه عندما نجد علما أو دارسين أمثال ميغيل بارسيلو[٤] أو برنابا لوبيز غارسيا[٥] يدافعون على أن «الاستعراب الأسباني» ويعدونه وفق كل معنى أو تقدير : «استشراقاً»، فإن هنالك مفكرين آخرين مثل الروائي خوان غويتيسولو[٦]

١- (بيرنارد لويس) (Bernard Lewis مسألة الاستشراق "The Question of Orientalism")

٢- En Alexander Lyon Macfie (في اليكساندر ليون ماكفيا) Orientalism. A Reader (الاستشراق) New York: New York University Press، ٢٠٠٠، p. ٢٥٣.

٣- في كتابه الشهير الاستشراق.p ٢، ١٩٧٩، Vintage Book: New York.

٤- "L'Orientalisme i la peculiariat de l'arabisme espanyol» (الاستشراق وخصائص الاستعراب الأسباني)، L'Avenç، ٢٨ (١٩٨٠)،pp.٢٥-٢٨. "

٥-) الاستعراب والاستشراق في أسبانيا: فحص وتشخيص :("Arabismo y Orientalismo en España: Radiografía y diagnóstico de un gremio escaso y apartadizo،" en el volumen monográfico Africanismo y Orientalismo en España، insertado como anexo en Awrāq، XI (١٩٩٠)، pp. ٣٥-٦٩.. (في المجلد الخامس من المجلة التخصصية "الأفريقانية والاستشراق في أسبانيا")

٦- "نظرة حول الاستعراب" en Triunfo، ٩-١٠ (١٩٨١)، year ٢٥، pp.٩٦-١٠١ ; published also in the book Crónicas sarracinas (تواريخ مسلمة) . Barcelona: Ruedo Ibérico، ١٩٨٢، pp.١٨٥-١٩٦.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

يميلون إلى دعم الاستقلال التام للاستعراب عن الاستشراق في أسبانيا، فهم يتبعون ذات الفكرة التي نادى بها اسين بالاسيوس وايميليو غارسيا غوميز في النصف الأول من القرن العشرين والتي مفادها «أن الاستعراب الأسباني بالنسبة إلينا ليس كما هو الشأن في الكثير من أمم أوروبا، مجرد حب استطلاع أو فضول أو تطفل أكاديمي، ولا يقوم بربط التوهج الروحي بالمصالح التجارية أو الامبريالية.

إن الدراسات العربية بالنسبة إلينا هي حاجة ارتباطية وعاطفية كونها مربوطة بالكثير من صفحات تاريخنا، وتنم عن خصائص قيمة لآدابنا وفكرنا وفننا، إنها تغوص في تلافيف لغتنا وحتى ربما في حياتنا تقريبا[1]. قراءة أعيدت صياغتها من خلال كلمات بيدرو مونتابث إلى الذين يقولون إن الاستعراب الأسباني كان قبل كل شيء دراسة في الموضوعات الأندلسية ومن الأندلس إلى الأندلس[2].

إن هذه الكلمات الصادرة من الحقل الأكاديمي، إنما تعكس إرادة واضحة لفصل الاستعراب الأسباني عن الحقيقة الاستعمارية والأغراض الامبريالية التي كانت وراء الدراسات الاستشراقية في أوروبا، على الرغم من نظام الوصاية الذي فرضته أسبانيا على شمال المغرب في الفترة من ١٩١٢م إلى ١٩٥٦م[3].

١- في المقدمة التمهيدية للمجلد الأول العدد الأول من مجلة الأندلس (١٩٣٣)، نفس الفكرة عبر عنها اميليو غارسيا غومس في "التاريخ الإسلامي، حتى سقوط الخلافة في قرطبة (١٠٣١-٧١١)" في المجلد الرابع من تاريخ أسبانيا.(التي يشرف عليها ر. مينديث بيدال) dirigida por R. Menéndez. Pidal. Madrid: Espasa Calpe، 1957، p. X

٢- Pedro Martinez Montavez، Significado y símbolo de Al-Andalus) المفهوم والرمزية للاندلس- بيدرو مارتينث مونتابث)، (مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية) - ،Cantarabia Madrid-Almeria، Fundación Ibn Tufayl de Estudios Árabes-،.p.351، 2001

٣- العلاقة بين الاستعمار والاستشراق تم التركيز عليها من قبل برنارد لويس"دراسة الإسلام"،Encounter (London) (١٩٧٢)، p. ٣٧. واعيد نشرها في (الأندلس) Al-Andalus، ١/٣٦ (١٩٧١)، pp. ١-٢٨. وفي هذا المجال انظر أيضا (ثيري هينتسج) Thierry Hentsch ، L'Orient imaginaire. La vision politique occidentale de l'Est méditerranéen (صورة الشرق. النظرة السياسية الغربية إلى الشرق المتوسطي). París: Minuit، ١٩٨٧; و(كلاودي ليوزو) Claude Liauzu ، L'Islam de l'Occident: La question de l'Islam dans la conscience occidentale (الإسلام في الغرب: مسألة الإسلام في المفهوم الغربي)París: ١٩٨٩. .وفي مسألة المستعمرة الأسبانية انظر إلى كلمات المستعرب الأسباني بيرنابا لوبيز غارثيا في أطروحة الدكتوراه

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

آخذين بنظر الاعتبار القرب الجغرافي والتاريخي لأسبانيا والعالم العربي. علاوة على ما تم تحليله سلفا من وجهات نظر، يجمل بنا إضافة تفسير ثالث يتعلق باعتبار الاستعراب الأسباني، كما هو الحال مع العبرية الأسبانية (نسبة إلى الدراسات العبرية)، إنما هو إظهار حصري للاستشراق على ترابنا.

تجسدت هذه النزعة وتمثلت في آراء العديد من المستعربين من أمثال الأخوين ميغيل ،[١](١٨٥٠) وإميليو لافوينت ألكنترا [٢](١٨٦٨)، و خوزيه انطونيو كوند (١٨٢٠)[٣]،و فرانسيسكو خافيير

الموسومة : الإسهام في تاريخ الاستعراب الأسباني Bernabé López García Contribución a la Historia del Arabismo español (1840-1917).الاستشراق والفكر الاستعماري) في اعمال الكتاب الأسبان) و الملخص الذي نشر في جامعة غرناطة عام ١٩٧٤: ف. مورالس ليزكانو، الأفريقانية والاستشراق الأسباني في القرن التاسع عشر من قبل نفس المؤلف، مدريد، UNED، 1989) ; V. Morales Lezcano، Africanismo y orientalismo español en el siglo XIX. ، «El Norte de África، estrella del orientalismo español» (شمال إفريقيا، نجمة الاستشراق الأسباني)، كملحق في المجلد الحادي عشر من مجلة أوراق، ١٩٩٠، ١٧-٣٤) واورورا ريفيري غومس في (الاستشراق والوطنية الأسبانية: الدراسات العربية والعبرية في جامعة مدريد، ١٨٤٣-١٨٦٨) Aurora Riviére Gómez، Orientalismo y nacionalismo español: Estudios árabes y hebreos en la Universidad de Madrid (1843-1868): Madrid: Instituto Antonio de Nebrija، 2000.

١- مؤلف كتاب (تاريخ غرناطة ومدنها ألمرية وجيان ومالقة منذ التاريخ البعيد إلى يومنا هذا) «Historia de Granada، comprendiendo la de sus provincias Almería، Jaén- Granada y Málaga، desde remotos tiempos hasta nuestros (دار النشر فاكسميل - غرناطة: سانز، ١٨٤٦، دار نشر الجامعة ١٩٢٠)

٢- مؤلف عمل (المخطوطات العربية في غرناطة مسبوقة بنظرة تاريخية مفصلة حول انساب ملوك الحمراء: مدريد المطبعة الوطنية ١٨٥٩) Inscripciones árabes de Granada، precedidas de una reseña histórica y de la genealogía detallada de los reyes Alahmares. Madrid: Imprenta Nacional، 1859

٣- تاريخ الوجود العربي في أسبانيا، مأخوذة من عدة مخطوطات ومذكرات عربية - مدريد المجلد الثالث، ١٨٢٠-١٨٢١) Historia de la dominación de los árabes en España، sacada de varios manuscritos y memorias arábigas . Madrid: 1820-1821، 3 vols.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

سيمونت (١٨٩٧)١ وخاستتوبوش فيلا٢، من بين العديدين من المستعربين الآخرين، الذين، يرون أهمية وجود ماضٍ أسباني عربي يتم فهمه من الناحية اللبرالية.

إن النظر إلى أسبانيا على أنها «شرق داخلي» حسب التعبير الذي ابتكره لوبيز غارسيا[٣]، سوف يعمل بقدر كبير على حصر الدراسات العربية في أسبانيا على موضوع الأندلس، وبالتالي الانتقال بالاستعراب والإبحار به بعيدا عن الأفرقة (نسبة لإفريقيا)[٤].

ويذهب ريكاردو نافاس رويز[٥] إلى أبعد من ذلك فيضيف بعض الفوارق القليلة لهذا التيار الأدبي:» في أسبانيا يأخذ استشراق الرومانسيات الأوروبية شكلا وطنيا حيث أن الشرق ليس بقريب إليهم فحسب، لكنه جزء من تاريخهم،لذلك فهو ليس له

١- لقد ألف الكاتب عدة كتب حول الثقافة العربية من ضمنها: (مختارات أدبية عربية اسبانية) Crestomatía Arábigo-Española (Granada: 1881) Leyendas Históricas Árabes (1858); (وصف مملكة غرناطة- Descripción del reino de Granada sacada de los autores arábigos مأخوذة من عدة كتاب عرب، غرناطة: ١٨٧٢) (Granada:١٨٧٢)

٢- (الاستشراق الأسباني- نشرة الجمعية الأسبانية للمستشرقين)،«El Orientalismo español Boletín de la Asociación Española de Orientalistas، III (١٩٦٧)، p.١٨٦، a Bernabé López García (بيرنابا لوبيز غارسيا) "Arabismo y orientalismo en España" (الاستعراب والاستشراق في أسبانيا)، p. ٣٧، nota al pie ٥.

٣- (الاستعراب والاستشراق في أسبانيا) "Arabismo y Orientalismo en España...."، p. ٤٠.

٤- اشتملت الافريقانية على التخصص المستخرج من المحمية الأسبانية في المغرب (والتي تشكل عشرين الف كيلو متر مربع من ريف وجبال المغرب) وهي حسب تعريف بيرنابا لوبيز (ثلاثون سنة من الاستعراب)، Awraq، ١٨، ١٩٩٧، pp.١٣-١٤، "تمثل البعد العنصري في الاستعمار الأسباني» وقد تم تطوير المدرسة الافريقانية لتصبح معهد الجنرال فرانكو ومولاي المهدي في تطوان ومعهد الدراسات الإفريقية في مدريد. انظر أيضا فيكتور مورالس ليزكانو (لماذا اصبح استشراقنا افريقانيا؟ في الافريقانية والاستشراق الأسباني في القرن التاسع عشر. مدريد. اليونيسكوو ١٩٨٩)Africanismo y orientalismo Español en el siglo XIX. Madrid، UNED، ١٩٨٩. و رودولفو خيل جريماو، مدخل للمصادر الأسبانية حول شمال افريقيا) Aproximación a una bibliografía española sobre el norte de África (1850- 1980، Madrid; Ministerio de Asuntos Exteriores، n Morocco. in the 20،000 square kilometers of the Rif and Yebala inز.1979، vol.I Northen Morocco.

٥- (الرومانسية الأسبانية) El Romanticismo español Madrid: Cátedra. ١٩٨٢، p.٥٢

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

طعم السيء الدخيل بل طعم أسبانيا نفسها» وهي وجه نظر يؤكدها ويؤمن عليها كارل جبران[١] الذي يرى الماضي العربي لأسبانيا هو الذي قرر إعادة تعريف الهوية الأسبانية.
ان السلوك الذي انتهجه خوسيه أنطونيو كوند، سوف يقود بشكل تدريجي إلى جدل تاريخي و إيديولوجي يقف فيه مستعربون بعينهم إلى جانب العنصر العربي، متأثرين بالدور الفعال الذي لعبته الرومانسية، مما صاغ الثقافة الشرقية بشكل عام، والثقافة العربية بشكل خاص[٢]، في نمطها السائد. وحسب رأي برنابا لوبيز غارسيا» إن الرومانسية الأسبانية، ليست مثل الرومانسية الأجنبية، فهي في توجهاتها الخاصة بها تجذب السياح والكتاب والتشكيليين من الأقطار الأخرى»[٣]. ويؤكد أوخينيو ديلاكرويكس (١٨٦٣ م)، في إحدى الرسائل الشخصية التي بعث بها من المغرب بعد مروره بالأندلس "لقد وجت في أسبانيا كل ما تركته في أرض الموريسكوس"[٤].

وحقيقة، فإن بعض الأوصاف لأسبانيا تعكس صورة واضحة، كما يقول المثل الفرنسي التي يردد كثيرا «إن إفريقيا تبدأ في جبال البرانس»[٥]، كيف أن أسبانيا كانت

١- في ملخص اطروحته لنيل شهادة الدكتوراة و الموسومة: الاستشراق الأسباني الداخلي: الهجين الثقافي ونتاج الهوية الوطنية Spanish Internal Orientalism. Cultural Hybridity and the Production of National Identity: ١٨٨٧-١٩٤٠ المقدمة في جامعة سان ديغو في كاليفورنيا ٢٠٠٢، ص. ١٠٢.حقخ Prossertation entitled ltural Hybridity and the طوان ومعهد الدراسات الافريقية في مدريد.عنصري في الاستعمار الاسباني وقد تم تطو

٢- الاستعراب و الاستشراق في أسبانيا «Arabismo y orientalismo en Espana، p. ٤٤» ب .لوبيز غارسيا Cf. B. López García. انظر أيضا السيري في: (الإسلام في الاستشراق الأسباني: من راياموندو إلى اسين بلاتيوسو، رياض: M. A. Al-Asri، Al-Islam fi l-istishraq al-isbani: 2003 .min Raymundus Lulus ila Asin Balatius

٣- المصدر اعلاه.

٤- اوجينه دي لا كرويكس Eugene Delacroix: رحلة إلى المغرب والأندلس.: Viaje a Marruecos y Andalucía Cartas، acuarelas y dibujos publicados con una introducción y notas de Andre Joubin (رسائل ولوحات ورسوم منشورة في مقدمة وملاحظات اندري جوبين) De Francesc Gutiérrez. Palma: Jose J. de Olañeta، ٢٠١٢، p. ٧٠.

٥- انظر غايلة ر. نونيلي Gayle R. Nunley في: هذه الرحلة القصيرة) "Esta corta travesia: Alarcon و تعريف الاستشراق الأسباني (Spanish Definition of spanish orientalism of) في غايلة ر. نونيلي (Gayle R. Nunley)
Scripted Geographies. Travel Writings by Nineteenth- Century Spanish Authors

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التجسيد الأقرب للدخيل الشرقي لعدد مهم من الكتاب الأوروبيين في القرن التاسع عشر. وكانت المحصلة أنه كان هنالك تمييز بين الاستشراق الأسباني والاستشراق الأوروبي الشمالي في مرحلتيهما المميزتين الأرض الأندلسية المحلية مقابل الشرق الأجنبي، ودراساتها.

وفي غرناطة التي تعتبر الرمز الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية، ظهرت حركة متخصصة تعمل على جذب الأجانب المهتمين بالشرق، مثل هؤلاء المهتمين بالحمراء[١]. لقد نقل هؤلاء الكتاب والفنانون هذا «الشرق المحلي» في المواضيع الرئيسية لإبداعاتهم غير مهملين لفترة القرون الثمانية من سيطرة المسلمين على شبه الجزيرة الايبرية، وصارت الأندلس محور الأدب الرومانسي الأسباني في القرن التاسع عشر الميلادي الذي أوجده بيدرو أنطونيو دي ألاركون (١٨٩١ م) أو خوسيه زوريلا (١٨٩٣) أو خوان فاليرا (١٩٠٥م) من بين آخرين كتبوا عن الماضي العربي للبلاد.

كان المذكورون أعلاه عادة ما يعرفون الشرق الأسباني بأنه الإقليم الجنوبي الأقصى لبلاد الأندلس، وذلك "عادة من خلال إعادة خلق جو العصور الوسطى المنشئ للأندلس، وأحيانا عن طريق التركيز على مكونات الحاضر الدخيلة للحياة الأندلسية مثل الثقافة الغجرية"[٢]. وفي هذا السياق، نجد في الكتابات الأسبانية المشتقة أو المستوحاة من تجارب السفر والسياحة إلى المغرب أن المباني المغربية والعمارة الحضرية تتم مضاهاتها

(مخططات جغرافية للرحالة الأسبان في القرن التاسع عشر) Lewisburg: Bucknell، (لويس بورك بوكنيل). Universidad Press، ٢٠٠٧، p.١٢٥.

١- خوسيه مانويل باريو ماركو وهيكتور اودن فيرنانديس باهيلو José Manuel Barrio Marco y Hector Odín Fernández-Bahillo (نظرة الحمراء وجنة العريف في الثقافة الانكليزية) La imagen de la Alhambra y el Generalife en la cultura anglosajona (١٦٢٠-١٩٢٠) (غرناطة- إدارة قصر الحمراء وجنة العريف -٢٠١٤، pp ،Comares). ٣٩٣-٣٩٤.

٢- رائد هذا التوجه هو المؤلف الأمريكي واشنطن ايرفنج الذي ألف عدة كتب مستوحاة من ماضي المرينيين في جنوب أسبانيا-انظر: (الحركة الرومانسية وإعادة بعث الأندلس الإسلامية والاستقبال بنظرة منتقدة). The Romantic Movement، the. Washington Irving (واشنطن ايرفنج)، / Re Creation of Islamic Andalusia and the Critical reception. انظر Celia M. Wallhead and Spain. Palo Alto: Academic Press، ٢٠٠٠. جايلي نونلي ص ١٢٨

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بصورة متكررة بالحمراء في غرناطة وبالخيرالدا في أشبيلية وبتصاميم المدن الأندلسية[1].

إن الاستعراب الأسباني في بداية القرن التاسع عشر كان ملازما لهذه الحركة الأدبية الفنية، من «الاستشراق الداخلي"[2] . إن بعض الأمثلة التوضيحية لهذه الظاهرة نجدها في التعاون الذي توطدت أواصره وتوثقت عراه بين باسكوال دي غيانغوس والمهندسين المعماريين الأنكليزيين جيولس جاوري وآوين جونز في نشر عمل المخططات والارتفاعات والأقسام والتفاصيل الخاصة بالحمراء (لندن ١٨٤٢م) والتي ستعمل الطبعات المتأخرة منه على نشر صورة غرناطة المغربية الرومانسية كجزء من الخيال الشرقي إلى يومنا الحاضر[3]، وكذلك المقدمة التي كتبها خوسيه زوريللا للنسخة الفرنسية لكتاب «تاريخ غرناطة» للكاتب ميغيل لافوينت الكانترا[4]، والرواية أو القصة الرومانسية من قبل المستعربين اللاحقين مثل ليوبولدو أيغويلاز[5] وفرانسيسكو خافيير سيمونت.[6]

بعد قرن لاحق، نجد أن العديد من الفنانين، من روائيين وشعراء وتشكيليين وموسيقيين، ما يزالون منجذبين إلى هذا الماضي المغربي الدخيل من تاريخ أسبانيا مكتشفين في الحمراء بغرناطة أعظم شاهد على الحضارة الأندلسية: وكان ذلك حال الكتاب من أمثال ج.أستبان أسحاق ميونوز (١٠٥٢م) وفرانسيسكو فلاييسبييسا

١- غايلة ر. نونيلي Gayle R. Nunley،(في: هذه الرحلة القصيرة) ”Esta corta travesía ١٥٤،١٣٦-١٥٥ و.١٥٩

٢- (لوبيز غارسيا)، «Arabismo y orientalismo en España...B. Lopez Garcia»، (الاستعراب والاستشراق في أسبانيا) . ٤١-٤٢.

٣- (لوبيز غارسيا)، «Arabismo y Orientalismo en España...B. Lopez Garcia»، (الاستعراب والاستشراق في أسبانيا) . ٤٤.

٤- باريس، ١٩٥٢.

٥- بعناوين مثل (روايات خيالية شرقية) El Talismán del diablo(تعويذة الشيطان). . Novela fantástica oriental Madrid، ١٨٥٣

٦- بعناوين مثل: Meriem، Medina Azzahara y Camar (مريم ومدينة الزهراء وقمر)؛ (أساطير تاريخية عربية) Leyendas históricas árabes Madrid، ١٨٥٨ ، ،Madrid، ١٩٦٠،(Almanzor ;المنصور).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

(١٩٣٦م) والشعراء من أمثال فيديريكو غارسيا لوركا (١٩٣٦م) والتشكيليين ممن هم في قامة ماريانو فورتيوني (١٨٤٧م) وفرانسيسكو براديللا (١٩٢١م) وخواكين سورولا (١٩٢٣م) وايسيدورو مارين (١٩٢٦م)[١]، وأعظم المؤلفين الموسيقيين مثل مانويل دي فايا (١٩٤٦م)[٢]. وبكلمات برنابا لوبيز خوان فاليرا (١٩٠٥م)وغيرهم من الذين كتبوا حول تاريخ العرب في بلادنا .

١- للاطلاع على عينات من صور الاستشراق الأسباني انظر "مستشرقو المدرسة الأسبانية" من تاليف ادوارد ديزي كاسو (París: ACR Edition ١٩٩٧،)

٢- انظر الفصل الثالث من أطروحة كارل جبران (Carl Jubran's) التي قدمها لنيل شهادة الكتوراه وتحديدا الصفحات (١١٩-١٥٩). و(كريستينا بينياس) Cristina Viñes : (غرناطة والمغرب: الاستعراب والافريقانية في الثقافة الغرناطية) ، Granada y Marruecos. Arabismo y Africanismo en la cultura granadina . Granada: El Legado Andalusí، ١٩٩٥ (الإرث الأندلسي) لنفس المؤلف و (الحمراء التي أدهشت الرومانسيين)، La Alhambra que fascino a los Romanticos. Granada: (إدارة قصر الحمراء وجنة العريف، ٢٠٠٨).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

نظرة تاريخية شاملة لتطور الاستعراب في أسبانيا (في القرنين العشرين والحادي والعشرين):

إن التقليد العميق الضارب الجذور للدراسات العربية والإسلامية في أسبانيا الذي قررته الظروف التاريخية التي تم تحليلها سابقا، إنما هو حقيقة لا سبيل لإنكارها. كما أنه من غير الممكن فهم الخطوط والمسارات المختلفة لتطور الاستعراب الأسباني الحالي من دون التعرف إلى التأصيل أو التأسيس الرسمي لهذا التوجه[١].

إن الاستعراب، بنشأته في خضم الجدل المذهبي في القرون الوسطى، قد تم تطويره وتنميته بنهاية القرن الثامن عشر في عهد الملك الأسباني شارلس الثالث (١٧٨٨) استجابة لدواع ومقتضيات تخص سياسته الافريقية والمتوسطية[٢]. أما الدارسون والعلماء أمثال ميغيل كاسيري (١٩٧١)، أو خوسيه أنطونيو بانكيزي (١٨١٨)، أو خوسيه أنطونيو كوند (١٨٢٠) فهم مسؤولون عن "الإحياء الخجول للدراسات العربية في القرن الثامن عشر وحتى وقتنا الحاضر" حسب تعبير خوان غويتيسولو[٣]. لقد شهد القرن التاسع عشر تدشين المدرسة الحقيقية للدراسات العربية وتم اعتبار باسكول دي غيانغوس (١٨٧٩)[٤]وخوسيه مورينو نيتو (١٨٨٢) وفرانسيسكو كوديرا (١٩١٧)

١- من الأعمال الرئيسة حول تطور الدراسات العربية والإسلامية في أسبانيا ما كتبه جيمس مورنو:" الإسلام والعرب في الدراسات الأسبانية (من القرن السادس عشر إلى الوقت الحالي"، . Leiden: E.J. Brill، ١٩٧٠

انظر: (جمال عبد الكريم) . Gamal Abdeakarim "Reflexión en torno a un siglo de Arabismo(قراءات حول قرن من الاستعراب الأسباني - الأندلس -المغرب: دراسات عربية وإسلامية) AM) "Al-Ándalus-Magreb: Estudios Árabes e Islámicos« ،Español)،٣ (١٩٩٥)،pp.٣٣-٤٠.

٢- (بيرنابا لوبيز غارسيا) Bernabé López García (ثلاثون سنة من الاستعراب الأسباني)، «٣٠ años de Arabismo español،» p. ١٣.

٣- (رؤية حول الاستعراب الأسباني) "Miradas al Arabismo español" Triunfo، año xxxv، n. ٩-١٠ (١ jul.١٩٨١)،p. ٩٦

٤- (مانويلا مانسانارس دي سيرا) Manuela Manzanares de Cirre،(السيد باسكوال دي غايونغوس والدراسات العربية) "Don Pascual de Gayangos (١٨٠٩ -١٨٩٧) y los estudios árabes")Al- Andalus، ٢٨/ ٢ (١٩٦٣)، pp.٤٤٥-٤٦١.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وجوليان رابيرا (١٩٣٤) وميغيل اسين بالاسيوس (١٩٤٤ م) بمثابة "الآباء المؤسسين للاستعراب"[١]. إن هؤلاء وشخصيات بارزة أخرى، من الذين كرسوا أنفسهم أساسا لدراسة الأندلس، قد كونوا جذور الدراسات العربية اللاحقة، وعملوا على تكامل ما يسمى بالمدارس الحديثة للمستعربين الأسبان[٢].

يأتي خلف الرعيل الأول من المستعربين مجموعة مبدعة من المتخصصين عملت على توحيد الدراسات العربية في أسبانيا، تقودها تعاليم عدد من كبار الأساتذة من أمثال البروفيسور أنجيل غونزاليز بالينسيا (١٩٤٩)، وفوق الكل، القامة السامقة – البارز والمتفوق: اميليو غارسيا غوميز (١٩٩٥)، و الياس تريز (١٩٨٣)[٣] و داريو كابالنياس (١٩٩٢) وجاسنتو فيلا (١٩٨٥)، وفيرناندو دي لا غرانجا (١٩٩٩)[٤] وميغيل كروز هيرناندز[٥] وخوسه فورنياس (٢٠٠٣)، والفارو غالميس دي فوينتس (٢٠٠٣) وخواكين بيرميخو فالف، ورودولفو جل غريمايو (٢٠٠٨) وخواكين لومبا، وبيدرو مارتينز مونتابز وبوروليو غستل (١٩٩٤) ومايكل دي ايبالزا (٢٠٠٨)، وماريا خيسوس روبيرا (٢٠٠٩) وفيدريكو كورينومارسلينو فليغاس (١٩٩١)، وسيرافين فإنجول وفيرناندو دي اغريدا، وفيدريكو ارابوس وبيدرو شالميتا، وإميليو ديسانتياجو،

١– (مانويلا مانسانارس دي سيرا) Manuela Manzanares de Cierre. (المستعربون الأسبان في القرن التاسع عشر) "Arabistas españoles del siglo XIX"، مدريد: المعهد الأسباني العربي للثقافة ١٩٧٢.

٢– (جمال عبد الكريم) Gamal Abdeakarim "Reflexión en torno a un siglo de Arabismo .)قراءات حول قرن من الاستعراب الأسباني . p.٣٦.

٣– (فرنانسيسكو ماركوس مارين) Elias Teres Sádaba: una vida dedicada Francisco Marcos Marin Al- Ándalus"، a Revista de filología española، ٣٦ (١٩٨٣)، pp. ٣١٥–٣١٩(الياس تيريس سدابا: حياة مكرسة للاندلس)

٤– (تيريسا غارولو) Teresa Garulo ، (السيد فيرناندو دي لاغرنخا سانتا ماريا) «Don Fernando de la Granja Santamaría. (١٩٢٨–١٩٩٩)، Al-Qantara ، In Memoriam، ٢٠/٢ (١٩٩٩)، pp.٢٦١–٢٧٤.

٥– في الخصوص انظر خوان أنطونيو مورا ميريدا، «Miguel Cruz Hernandez» (مايكل كروس ايرناندس)، Jabega، ١١ (١٩٧٥)، pp.٨١–٨٧.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وماريا فيغويرا، وكارمن رويز برافو، وميرسيديس دي امو، وكاريداد رويز، وبرنابا لوبيز غارسيا، من بين مفكرين آخرين بارزين.

أقسام الدراسات العربية والإسلامية بالجامعات الأسبانية:

إن ظهور جيل جديد كبير من المستعربين بنهاية الستينات، نتيجة للتحول الكمي في الجامعات الأسبانية وضع نهاية لعزلة الاستعراب في أسبانيا، ففي تلك الحقبة، ركزت ثلاث مؤسسات تعليمية لها القدح المعلى والتقليد الكثر رسوخا في تطوير الدراسات العربية وهي جامعة كومبلوتنس بمدريد وجامعة غرناطة، على دراسات العصور الوسطى وفقه اللغة التاريخي، بالإضافة إلى جامعة برشلونة الوسطى التي تخصصت في دراسات العلوم العربية[١]. وفي عام (١٩٩٠) صدرت أول مجلة تعني بالدراسات العربية (متضمنة المواضيع الأندلسية أو العصور الحديثة للدراسات العربية)، وكذلك المجلة الأكثر قدما (Miscelánea) والتي تتناول مواضيع متعددة في الدراسات العربية والعبرية (MEAH) التي يصدرها قسم اللغات السامية في جامعة غرناطة منذ عام (١٩٥٢ م).

إن وصول العديد من الطلاب، الذين أخذوا سابقا دورات في اللغة العربية، قد جعل لزاما على المستعربين الحاليين فتح مجالات جديدة في الدراسات لمقابلة الطلب الأكاديمي. وقد تم إنشاء مركز جديد في عام (١٩٦٨): الجامعة المستقلة في مدريد، وهي أول جامعة تقدم مناهج دراسية حول العالم العربي المعاصر، كما أنها دلفت كذلك إلى الأدب العربي الحديث ودراسات العلوم الاجتماعية، على التوالي[٢]. ولا مراء في كون

١- (بيرنابا لوبيز غارسيا) Bernabé López García (ثلاثون سنة من الاستعراب الأسباني)، «٣٠ años de Arabismo español،» .

٢- (بيرنابا لوبيز غارسيا) Bernabé López García (ثلاثون سنة من الاستعراب الأسباني) «٣٠ años de Arabismo» ;pp.١٩-٢٠ (ماريا اولاران موجكا)،María Olaran Múgica "El fondo Árabe de la Biblioteca de Humanidades de la universidad de Autónoma de Madrid"، .)المصادر العربية في المكتبة الانسانية في جامعة مدريد المستقلة) Cuadernos de Almenara، ١٢. Madrid: Cantarabia، ٢٠٠٩.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه المستجدات، مقرونة بدخول جامعة سرقسطة وأشبيلية إلى مجال الدراسات العربية، سوف تعزز الاستعراب في أسبانيا، كما أن الطلب المتنامي سوف يذهب بالدراسات العربية إلى مناطق كانت تفتقر إلى تقاليد الاستعراب مثل جامعات أليكانتي ومالقة وألمرية وجيان وقادس وسيوداد ريال.

في الوقت الحالي، هنالك عدد كبير من الجامعات التي تقدم تخصصات في الدراسات العربية بأقسامها أو مجالات الدراسات فيها، مثلا قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة مدريد، والتي تركز أقسامها علي الدراسات العربية في القرون الوسطى والمعاصرة، وجامعة غرناطة، وجامعة برشلونة. ونضيف مجالات الدراسات العربية والإسلامية في كل من: جامعة جيان، وجامعة أليكانتي التي أصدرت مجلة شرق الأندلس عام (١٩٨٤) من قبل الأستاذين ميكيا دي ايبالاثاو وماريا خيسوس روبيرا، وجامعة مرسية، وجامعة مالقة، وجامعة قرطبة ومجلتها الشهيرة قرطبة التي صدرت عام (١٩٩٦) والتي تتناول المواضيع الأندلسية، وجامعة قادس ومجلتها (الأندلس-المغرب) المتخصصة بالمواضيع الأندلسية والمغربية التي تصدر منذ عام (١٩٩١)، وجامعة أشبيلية، وجامعة سلمنقة، وجامعة ألمرية، وجامعة أوفييدو، وجامعة اللغات في جزر الكناري.

المراكز والهيئات:

ظهرت على مر العقود الماضية عدة مراكز وهيئات متخصصة بالتعليم والدراسات العربية والإسلامية. وهذه المؤسسات مسؤولة عن الإبقاء على الدراسات العربية والإسلامية حية في أسبانيا من خلال تنظيم المؤتمرات والندوات، وورش العمل والموائد المستديرة والمعارض، والحفلات الموسيقية والمنح البحثية، وعرض الأعمال السينمائية والمسرحية العربية، بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى. ومن أبرزها:

المعهد المصري بمدريد الذي يعتبر من أهم وأقدم المعاهد المتخصصة بالدراسات الإسلامية، وهو ذو علاقة لصيقة بالعالم العربي. وقد تم تأسيسه في عام (١٩٥٠) من قبل المفكر الكبير طه حسين من خلال مبادرة من مصر بمسمى معهد فاروق الأول للدراسات الإسلامية، بهدف ترقية التنوع الثقافي والعلمي لمصر، وخصوصا في مجال

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

السينما والأدب، وبعبارة أخرى، فإن الهدف من هذا المعهد هو مد جسور التفاهم بين شاطئي المتوسط[1]. وبعد ثورة (١٩٥٢) في مصر تغير اسم المعهد إلى معهد الدراسات المتوسطية. أما الأنشطة التي قام بها فهي عديدة ومفيدة منها: إصدار صحيفة (٢٠٠٨-١٩٥٣) تحمل نفس اسم المعهد، وأعمال تتعلق بتاريخ الأندلس، وكتب الأدب العربي المترجمة إلى اللغة الأسبانية لدعم الباحثين من مصر وباقي الدول العربية من المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية، وتنظيم المؤتمرات حول الموضوعات التي تهم كلا من مصر وأسبانيا، وإسداء النصح للسفارة المصرية في أسبانيا حول المسائل الثقافية، ولتحريك التعاون العلمي بين الجامعات المصرية والأسبانية، للحفاظ على مكتبة غنية ذات قائمة عريضة من العناوين والمسميات والفيديو المكرس للدراسات الأندلسية بأوروبا بالإضافة إلى المخطوطات العربية وأخيرا، تقديم دورات سنوية في كل من اللغة العربية واللغة الأسبانية.

المعهد الأسباني- العربي للثقافة، على الرغم من أنه بات يعرف باسم آخر، وهو المعهد الذي تم افتتاحه عام (١٩٥٤)م تحت رعاية المجلس الأسباني للعلاقات الثقافية وتم اعتماده من وزارة الخارجية الأسبانية ووزارة التعليم. والرسالة الرئيسية لهذا المعهد، حسب القانون المؤقت الذي شكل الأساس لأنشطته، هي: ربط العالم الثقافي الأسباني بالعالم الثقافي العربي من خلال تطوير وتشجيع التعاون اللصيق بين الثقافتين كلتيهما[2].

١- بخصوص التعاون بين أسبانيا ومصر في مجال التعليم يرجى الاطلاع على ما كتبه جورج فونتيلساز فرانجانيلو «Cooperación cultural y educativa español con Egipto (origen y evolución)» (التعاون الثقافي والتعليمي الأسباني مع مصر: (البداية والتطور)، (مجلة الدراسات الدولية للمتوسط) Revista de Estudios Internacionales mediterráneos، ١ (٢٠٠٧)، pp.٣١-٦١. .

٢- للمراجعة الكاملة للتاريخ هذه المؤسسة انظر إلى ميكيل ايرناندو دي لارماندي. (المعهد الأسباني العربي للثقافة والسياسة الخارجية الأسبانية مع العالم العربي).
El Instituto Hispano- Arabe de cultura y la politica exterior española hacia el mundo" árabe»، في:(ماريا انكارنا نيكولاس مارين و كارمن خونسالاس مارتينس) Maria Encarna Nicolas Marin and Carmen Gonzalez Martinez، coords.، (ماضي للنقاش: مواضيع مهمة في التاريخ المعاصر) Ayeres en discusión. temas claves de Historia contemporánea hoy Murcia. University of Murcia .، ٢٠٠٨، p.٣، from للاطلاع على استعراض شامل لتاريخ هذه المؤسسة يرجى الرجوع إلى المكتوب باللغة الأسبانية أعلاه، حيث تم الاستشهاد به بأغلب

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

كما وضح القانون المؤقت السابق ذكره الوظائف الرئيسية الثلاث للمعهد: إعادة تثبيت وتجديد الأواصر الأسبانية العربية الثقافية والتاريخية، تقوية وزيادة الدراسات العربية والإسلامية في أسبانيا، وتوسيع الثقافة الأسبانية في العالمين العربي والإسلامي [١].

وكانت بدايته ممكنة بفضل جهود رئيسه الأول المستعرب الكبير المتميز إميليو غارسيا جوميس [٢] ونائب الرئيس الدكتور ميجويل كروز هيرنانديز والأمين العام الدبلوماسي فرانسيسكو أوتراي، الذي كان مسؤولا عن العلاقات الثقافية مع العالم العربي.

البيانات الواردة وأيضا إسهام ايرين جونز اليز في العمل الجماعي تحت عنوان: (المراكز الثقافية في العالم العربي: شخصيات السياسة الخارجية الأسبانية، ١٩٥٤-١٩٦٧، الصفحة رقم ١٣٧، و خوان لويس فلورس في: الذكرى الثلاثون للتأسيس المعهد الأسباني العربي للثقافة ومستندات وزارة التربية والتعليم والعلوم. under the title "Los centros culturales en el mundo árabe: actors de la política exterior española (١٩٥٤-١٩٦٧)" p. ١٣٧; و(خوان لويس فلورس) Juan Luis Flores "XXX Aniversario del Instituto Hispano – Árabe de cultura» ، the Education and Science Ministry، pp ٤٨-٥٣; (انظر أيضا المقالة التي كتبها فيرنادو اكريدا بوريليو)Fernando de Agreda Burrillo (ذكريات المعهد الأسباني العربي في الذكرى السنوية)، Recuerdos de Instituto Hispano- Árabe en su aniversario» (١٩٥٤-٢٠٠٤)،

١- (ميكيل ايرناندو دي لارماندي(Miguel Hernando de Larramendi، في : (المعهد الأسباني العربي للثقافة، «El(Instituto Hispano-Árabe de Cultura...،» p.4.

٢- للمزيد من المعلومات عن إسهامه الشخصي في الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي ومهمته الاخيرة بوصفة سفيرا ثقافيا في العديد من الدول العربية انظر: (السيد اميليو غارسيا غومس، رئيس المعهد الأسباني العربي للثقافة) "Don Emilio Garcia Gomez، director del Instituto Hispano-Arabe de cultura» Awraq، ١٧، ١٩٩٦، pp.١١٢-١١٥; و(مدير المعهد الأسباني العربي) (ميكيل كروس ايرنانديث) Miguel Cruz Hernandez "El profesor Garcia Gomez y la creación del Instituto Hispano-árabe de cultura (تأسيس المعهد الأسباني العربي للثقافة) Revista del Instituto Egipcio de estudios Islamicos de Madrid، 28 (1996)،pp.7-27; (ر. بيانويبا ايجبيرا)، R Villanueva Echeverria La primera embajada del predecesor (السفارة الأولى للمسؤول السابق (selección de sus despachos y cartas al ministro Castiella – مختارات من مكتبه ورسائل إلى الوزير كاستيله)2، Madrid: Ediciones Mundo Árabe e Islam، vols. ١٩٩٧-١٩٩٨.. و Garcia Gomez .stiella.slamico.iciones Mundo Arabe e Islamico ا ية y la creacion ssion as cultural ambassador in several arabic

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لقد كانت دعما لا يقدر بثمن ذلك الذي قدمه «متعاونون أفذاذ من ذوي المنزلة الرفيعة والمقام المرموق من أمثال الأب فيليكس ماريا باريجا، الذي أصبح مسؤولا عن المكتبة التي أطلق عليها اسمه بعد سنوات[١]، وفيرناندو دولا جرانجا الذي اضطلع بدور تعليمي بارز.

وفي نهاية المطاف، وبعد أن أعيد تجديده بوصفه صرحا تعليميا وتثقيفيا مستقلا في نهاية السبعينات، ولكي يتهيأ ويتكيف مع المتطلبات الجديدة للسياسة الأسبانية الخارجية، وبالتحديد في عام ١٩٨٨ م، تم تحويل اسم المعهد الأسباني - العربي للثقافة إلى مسماه الحالي: معهد التعاون مع العالم العربي.

إن إعادة الهيكلة التي حدثت في إطار إصلاح وزارة الخارجية الأسبانية عقب إنشاء وزارة التعاون الدولي وأمريكا الأسبانية، قد أضافت أبعادا جديدة ووجهات جديدة للمعهد، من قبيل التعاون الفني والعلمي مع العالمين العربي والإسلامي، وكذا الترويج للمشاريع المحددة للتعاون مع الكيانات والوحدات بالقطاعين العام والخاص. لقد بدأ معهد التعاون مع العالم العرب يعتمد مباشرة على الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي[٢] مما يعني حدوث تحسن معتبر في الموارد المادية والبشرية للمعهد، الأمر الذي أفضى إلى إمكانية إعادة النظر في فكرة تحرير مجلة «أوراق» وتوسيع وتنويع مصادرها المكتبية وزيادة المنح المخصصة للطلاب الأسبان الذين يرغبون في أستكمال دراستهم في الجامعات ومراكز البحث العربية[٣].

شهد عام ١٩٣٢ ظهور إحدى المؤسسات البحثية ذات الدلالة الرمزية الكبرى، وتمثلت في مدرستي الدراسات العربية في مدريد وغرناطة، تحت إدارة كل من آسين

١- ف. ساستره سيرانو: (المكتبة الإسلامية - فيليكس ماريا باريخا: محتويات المكتبة F. Sastre Serrano «La Biblioteca Islámica، Félix María Pareja: formación de sus fondos"، Centro Cultural .١٩٩١ (تنوع المكتبة الأسبانية) Miscelánea de la Biblioteca Española .٢٠٥-١٩١.español. Tánger، pp

٢- .بخصوص القواعد التأسيسية للوكالة الأسبانية للتعاون الدولي انظر: المرسوم الملكي رقم (٣٤٢٤/ ٢٠٠٠) الصادر في فبراير ٢٠٠٠م.

٣- ميكيل ايرنانديث لامندي: المعهد الأسباني العربي للثقافة، Miguel Hernando de Larramendi «El Instituto Hispano- Árabe de cultura...،» pp.11-17.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بالاسيوس وجارسيا جوميس[1] على التوالي. وعلى الرغم من أن هاتين المدرستين أنشئتا لخدمة الغرض العام المتمثل في «حماية وترويج الدراسات العربية في غرناطة» فقد تم تخصيص مهمة محددة لكل منهما، حيث أوكلت إلى مدرسة مدريد مهمة توجيه وإدارة وتطوير البحث العلمي في تاريخ المسلمين وحضارتهم وحياتهم، بينما اختصت مدرسة غرناطة بالتدريس المتميز للغة العربية والحضارة العربية واللغة العبرية والعبرية المتأخرة (عبرية الأحبار والحاخامات) فضلا عن استقطاب الشباب المسلم وتحفيزهم على الدراسة والبحث.

وقد تم إدراج تخصصات من قبيل التاريخ والقانون الإسلامي والمؤسسات الإسلامية وعلم الآثار، والآداب والفنون ودراسة اللهجات والموضوعات المغاربية، ضمن تلك المهام والمسؤوليات. وتم نشر حصيلة هذا النشاط العلمي المتنوع والمتعدد الجوانب في مجلة خاصة أطلق عليها مسمى الأندلس (١٩٣٣-١٩٦٣) وكان يشرف عليها ميغيل آسين و إميليو غارثيا غومس[2] . وبعد أن توقفت هذه المجلة عام ١٩٦٨ ظهرت مجلة جديدة "القنطرة"، رديفة لها، وكانت تتناول نفس المواضيع وتركز على الإسلام الكلاسيكي في الأندلس خلال القرن السابع عشر .

بعد أن وضعت الحرب الأهلية الأسبانية التي امتدت من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ أوزارها، ونتيجة لمبادرة من إميليو غارسيا غومس، أنشئ عام ١٩٥٣المجلس الأعلى للبحث العلمي، الذي كان يعني دمج المؤسستين / المدرستين في هذه المنظمة، كما جرى تغيير في توجهاتها ليتم تكريسهما خصيصا للبحث العلمي منذ ذلك الحين.

وأنشئت مراكز جديدة تحت راية المجلس الأعلى للبحث العلمي مثل: معهد اللغة في مدريد (تم تغيير مسماه إلى معهد اللغات وثقافة البحر المتوسط في عام ٢٠٠٧)، ومعهد ميلا و فونتانايس في برشلونة عام ١٩٦٨، متخصصا في علم الآثار وعلم الإنسانيات (الانثروبولوجيا) وعلوم تاريخ القرون الوسطى، ومعهد الدراسات الإسلامية للشرق

١- انجل غونسسلاس بلاينسيا : مدرسة الدراسات العربية في مدريدÁngel González Palencia "Las escuelas de Estudios Árabes de Madrid y Granada"، África، ٩ (١٩٣٣)، pp. ١٤-١٥

٢- (لوبيز غارسيا)، «Arabismo y Orientalismo en España...B. Lopez Garcia"، (الاستعراب والاستشراق في أسبانيا) p.٤٧ .

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأدنى، الذي تم تأسيسه في سرقسطة عام ٢٠٠٠.

مركز دارك-نجومبا الذي أنشئ عام ١٩٦٩ لأغراض متباينة تماما، وهو عبارة عن مؤسسة غير ربحية تحت رعاية الجامعة البابوية الأسقفية في مدريد، ويعرفه مديره ومؤسسه إيميليو جاليندو بأنه مركز للإعلام والتحصيل والتعاون، وتم تأسيسه على هامش الإيديولوجيات السياسية والدينية للطلاب العرب والأفارقة الذين يقيمون في أسبانيا، فإن اسمه (Darek) و (Nyumba) إنما يعني "داركم" أو "منزلكم" في اللغتين العربية والسواحلية على حد سواء. وباعتباره مؤسسة ثقافية، فإن أنشطة المركز تنحصر بصفة رئيسية في تدريس اللغة الأسبانية للطلاب الأفارقة والأسيويين وغيرهم، والذين ينحدر أغلبهم من منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية للطلاب الأسبان.

وكما يمثل المركز كذلك شركة فعالة في الحقل الإعلامي، وملتقى وموقعا للتلاقي، فإنه يدعم إجراء الأبحاث والدراسات حول الحوار الإسلامي المسيحي، وينظم الاجتماعات والمؤتمرات في هذا الشأن.[١]

هنالك مؤسسة مرموقة أخرى هي مركز الدراسات العربية ودراسة الآثار»ابن عربي» في مرسية[٢]، والذي تم تأسيسه عام(١٩٨٣) لأجل حماية التراث الأثري في مرسية الإسلامية ويحتفظ المركز بعلاقات للتعاون المكثف مع المؤسسات الأخرى مثل مركز بيلاثكث في مدريد.

١- روسويها كوست (Roswiha Gost) مدير مركز أبحاث الشرق الأدنى والشرق الأوسط وشمال إفريقيا في أوروبا الغربية (باستثناء ألمانيا): هامبورغ جامعة بيلفيلدا المعهد الألماني لما وراء البحار ١٩٩٣ م ص ١٣٤. ايمليو جاليندو(Emilio Galindo) دارك – نيومبا"(Darek –Nyumba) وثائق وزارة التربية والتعليم والعلوم الصفحات ٥٧-٦٢.

٢- بخصوص مهام هذا المركز انظر: (جوليو نابرو بلاسون و بيدرو خيمينس كاستيليو) Julio Navarro Palazón and Pedro Jiménez Castillo) "El Centro de estudios Arqueológicos de Murcia" (مركز الدراسات الأثرية في مرسية) في (كاستروم ٥،آثار المنطقة الريفية في المتوسط medditerraneens(المتوسط في القرون الوسطى) Castrum 5، Archeologie des espaces agaires Ecole Francaise(ايكوله فرانكايسة دي روما) .au Moyen Age . Madrid: Casa de Velazquez es mediterraneens auلث. ٤١-٥٢ .pp ،١٩٩٩ ،de Rome) Ayntamiento de Murcia

Moyen. espaces agaires mediterraneens au Moyen. "rg: University of Bielef

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

لقد اضطلع المركز بتنفيذ العديد من الحفريات الأثرية في منطقة مرسية الريفية ويتصف ببعض الخصائص والمعالم، منها على سبيل المثال: غرفة لنظافة وصيانة وحفظ المواد التي يتم العثور عليها نتيجة التنقيب، حيث تقع تلك الغرفة في متحف سانتا كلارا، بالإضافة إلى غرفة للرسم ومعمل للتصوير ومكتبة متخصصة لدراسة الآثار الإسلامية التقليدية والآثار المتعلقة بالقرون الوسطى، وهي تحتوي أيضا على سجلات لحفظ المستندات المتعلقة بجميع العمليات الأثرية التي جرى تنفيذها في المنطقة الريفية والبلدية للمدينة[1].

ولا مراء في أن إحدى المؤسسات المشهورة عالميا والتي تعد الأفضل تمثيلا للمشهد في الدراسات الأندلسية هي المؤسسة العامة للتراث الأندلسي التي تم إنشاؤها في عام (١٩٩٥) تحت رعاية العديد من الوزارات على مستوى الإقليم والدولة مثل إدارة الحكم الذاتي للأندلس ووزارة السياحة والتجارة والرياضة الإقليمية ووزارة الثقافة والتربية والتعليم، بالإضافة إلى الوزارات الوطنية للثقافة والخارجية، والوكالة الأسبانية للتعاون ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) والمجلس الأوروبي، فضلا عن بعض الوحدات الأخرى بالقطاعين العام والخاص.

وكما هو واضح من اسمها فهي تركز في المقام الأول على نشر الثقافة الأندلسية من خلال نشر آدابها وآثارها الثقافية ودراسة العلاقات التاريخية والاجتماعية بين أسبانيا والعالم العربي ومنطقة البحر الأبيض المتوسط وأمريكا اللاتينية/ الأسبانية.

وفي هذا السياق فإن أسبانيا بوصفها وحدة تمثل الجسر أو حلقة الوصل بين الغرب والشرق تسعى إلى أن تتبادل إرثها الإسلامي مع تلك الدول التي تشترك معها في نفس الماضي بشكل عام. إن الفعاليات التي نظمتها جمعية التراث الأندلسي، مثل المعارض ذات المواضيع والمضامين المحددة والمؤتمرات والقدر المعتبر من العمل التحريري والنشاط التأليفي ونحو ذلك، إنما تأتي متناغمة مع نبض السياحة الريفية وإيقاع الفنون التقليدية وتجد لها أصداء في ذلك من خلال إيجاد المسارات والمسالك المتشعبة وتهيئتها على الوجه المطلوب، فضلا عن توفير الحماية والصيانة والإصلاح للموروث الإسلامي الأسباني والحفاظ على زخمه.

١- (خوليو نافارو بلازون)Julio Navarro Palazon، وهامش الملاحظة رقم ٢.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أما الجمعية الأسبانية للدراسات العربية فهي أكبر مؤسسة موجودة حاليا في أسبانيا على المستوى الوطني. وأنشئت هذه الجمعية عام (١٩٩٣م) من قبل العاملين الناشطين والقدامى المتقاعدين من المهتمين بالشأن الاستعرابي بالبلاد. وهي تعد المؤسسة الأكثر تمثيلا لشتى ألوان الطيف الاستعرابي الأسباني. فهي بمنزلة اللوحة التي يتجلى فيها جمال تلك الألوان، ولاسيما أنها تضم أعضاء من جميع شعب الدراسات العربية والإسلامية بجميع الجامعات الأسبانية.

وتنطوي الأهداف الرئيسية لتلك الجمعية على التطوير والنشر والترويج للدراسات العربية في أسبانيا، ونسج شبكة معلومات متخصصة ومنسقة بين أعضائها لتصبح بمنزلة المنبر أو الحفل الأكثر فعالية، والتواصل بين هؤلاء الأعضاء، وبلورة المبادرات للشباب المهتمين بشأن الاستعراب، بما في ذلك تخصيص جائزة سنوية للباحثين العاملين الجدد في حقل الدراسات العربية.

وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من علمائها المنتسبين والمنتظمين من حملة الجنسية الأسبانية فإنه يوجد أيضا قدر معتبر من الأساتذة والمحاضرين المنحدرين من أصول عربية ممن مضوا قدما في تخصصاتهم العلمية في أسبانيا. وتسهم هذه الحقيقة إلى حد بعيد في تنوع أساليبها وتعدد تجلياتها على الوجه الذي يفضي إلى ترسيخ علاقة فعالة للتعاون العلمي بين الثقافتين.

في ذات العام (١٩٩٣)، أنشئ مركز دراسات موديجار للترويج و بث التوعية ونشر المعرفة حول عالمي موديجار (المدجنين/ المسلمين الذين ظلوا باقين في أسبانيا بعد سقوط الأندلس) وموريسكو (المغربيين فاتحي الأندلس المسلمين في القرن الثامن الميلادي)، يلتحق المركز بمعهد دراسات ترويل (Instituto de Estudios Turolenses) ويقع في مدينة ترويل ويعد الموقع النموذجي الأفضل تمثيلا لمختلف عناصره في الجالية التي يمثلها في مقاطعة أرجوان، التي تتمتع بالحكم الذاتي منذ عام (١٦١٠).

ودرج المعهد على عقد الندوة العالمية للموديجارين كل ثلاث سنوات كما دأب على نشر المقالات وتقديم المنح لإجراء الأبحاث وتنظيم الدورات المتميزة فضلا عن أنه يحتوي على مركز توثيق موديجاري. وعلى غراره مركز الدراسات الموريسكية في الأندلس، الذي يفضي إلى نتائج ومردودات مماثلة لما يسفر عنه المركز المنوه عنه آنفا،

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ويتمثل الهدف الرئيس لمركز الدراسات الموريسكسية في دراسة الثقافة الموريسكية في الأندلس بين القرنين السادس عشر والسابع عشر مع نشر تلك الثقافة والترويج لها، و يرتبط بمراكز المغرب المماثلة له.

بيد أنه إذا كانت هنالك مؤسسة ضليعة ومتمرسة في دراسة الثقافة العربية والإسلامية بأدق معاني الكلمة وبكل ما في الكلمة من معنى، فإن تلك المؤسسة هي مدرسة الألسن والترجمة في طليطلة، وهي عبارة عن مركز بحث وتعليم، يتبع حاليا لجامعة كاستيلا دي لا مانشا.

رأت هذه المدرسة النور عام (١٩٩٤م) امتدادا للمؤسسة التاريخية التي تحمل ذات المسمى، والتي ازدهرت واشتهرت في طليطلة تحت رعاية الملك القشتالي ألفونسو العاشر الذي يكنى بلقب الحكيم في القرن الثالث عشر[١]. وبصفتها الوريث الشرعي لهذا النشاط التقليدي الراسخ في مجال الترجمة الباكرة فلا غرو إذن أن ينصب تركيزها بصفة أساسية على التدريب المهني المتخصص لمترجمي اللغتين العربية والعبرية على حد سواء، مقدمة في سبيل ذلك دورة سنوية هي «الدورة التخصصية في الترجمة العربية – الأسبانية»، بالإضافة إلى عقد حلقات دراسية بصفة منتظمة في مجال الترجمة من العبرية إلى الأسبانية، ودورات في التعريف باللغتين العربية والعبرية.

---

١ – للمزيد حول هذه المؤسسة العريقة المرموقة الخاصة بحقبة العصور الوسطى انظر: (خوسيه خيل) José Gil في "مدرسة المترجمين في طليطلة وإسهام اليهود" La Escuela de Traductores de Toledo y los Colaboradores Judios"، Toledo: Instituto provincial de investigaciones Toledanas، ١٩٨٥; Danielle Jacquart (دانيل جاكورد) ، «L ecole des traducteurs» un Tolede XII-XIII. Musulmans (المسلمون والمسيحيون واليهود)، Chretiens et Juifs: le Savior et la tolerance" (الحكمة والتسامح)، Paris: Editions Autrement. Serie Memorires، ١٩٩١، num. 5، pp. 177-191، Charles Burnett (جارلاس بورنيت)، «The translating Activity in medieval Spain» (نشاط الترجمة في أسبانيا في القرون الوسطى). In Salma Khadra Jayyusi، ed (سلمى قادر جيوسي) The Legacy of Muslim Spain (تراث أسبانيا الإسلامية). Leiden: E. J. Brill (لايدن بريل)، ١٩٩٤، vol، ٢ pp. ١٠٣٧-١٠٥٨ Marietta Gargalagli (ماريتا غرغالغلي)، «La Historia de la escuela de traductores de Toledo» (تاريخ مدرسة المترجمين في طليطلة)، Quaderns. Revista de traducción، ٤ (١٩٩٩)، pp. ٩-١٣. .

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أما فيما يتعلق بشقها البحثي، فقد دأبت على تنظيم برامج شائقة ومثيرة للاهتمام في مجال الترجمة فضلا عن نشر أعمال وترجمات متنوعة. وفي هذا السياق فإن المجموعة التي تحمل الاسم «ذكريات البحر الأبيض المتوسط» الصادرة عن دار النشر «الشرق والمتوسط»، من إخراج جونزالو فيرنانديز باريلا عضو مدرسة الألسن والترجمة، قد تم تحريرها من قبل هذه المؤسسة بالتعاون مع المؤسسة الأوروبية للثقافة. وللمدرسة أيضا مكتبة ومركز توثيق متخصص يحتوي على مواد مثيرة للاهتمام عن تاريخ مدارس الترجمة في القرون الوسطى.

لما كانت مدرسة الألسن والترجمة في طليطلة تهدف إلى أن تصبح صرحا مرجعيا للتلاقي وتلاقح الأفكار والحوار بين أسبانيا والدول العربية، لذا كان لا بد من له من استضافة الندوات الوطنية والدولية حول مسائل الترجمة وقضاياها وحول العلاقات الثقافية بين أوروبا والبحر الأبيض المتوسط [1].

أما المؤسسة الأوروبية العربية للدراسات العليا فقد أنشئت في عام ١٩٩٥ نتيجة اتفاقية أجازها البرلمان الأوروبي عام ١٩٨٤ لإنشاء جامعة أوروبية عربية. وتدار المؤسسة من قبل مجلس مختلط تم تكوينه من قبل وزارة التربية والتعليم بأسبانيا ومنطقة الحكم الذاتي الأندلسية وجامعة غرناطة. وتقع هذه المؤسسة في قلب مدينة غرناطة الأثرية، وتمثل مؤسسة فريدة ومتميزة على المستوى العالمي نظرا لخصوصية رسالتها المتمثلة في الترويج للأنشطة الأكاديمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ولكونها «ساحة للحوار ومساحة للتعاون بين أوروبا والعالم العربي».

وبوصفها مركزا للتدريب، تقدم هذه المؤسسة دورات في الدراسات العليا في الحلقات الدراسية والعروض التقديمية عن المواضيع المشار إليها أعلاه، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من درجات الماجستير، في مجالات التعاون والتنمية والتعاون الدولي وأنظمة الهجرة وما في حكمها، حيث تستهدف الطلاب الأوروبيين والعرب على حد سواء. ولتطوير المشاريع المذكورة آنفا، تشارك المؤسسة الأوروبية العربية في مختلف

١- (عبد الرحمن بدوي)، the Toledo School» Abdurrahman Badawi) مدرسة طليطلة (نافذة مفتوحة على العالم)، UNESCO Courier: A Window opened to the World، XLIV، ١٢ (١٩٩٩)، pp. ٤٠-١٤.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الاتفاقيات الجماعية المبرمة مع الاتحادات والمؤسسات الأخرى مثل اتحاد القنطرة المغربي والمركز المغربي التخصصي للدراسات الاستراتيجية والدولية.

أما اتحاد الثقافات المتوسطية الثلاث، فهو مثال حي آخر تتجسد فيه روح الفهم المتبادل والتعاون المشترك بين أسبانيا والعالم العربي. وقد ظهر مشروع إنشاء الاتحاد في عام (١٩٩٨م) منبثقا عن فكرة مشتركة بين المملكة المغربية ومنطقة الحكم الذاتي الأندلسية، حيث قرر الطرفان إنشاء محفل يقوم على أساس مبادئ السلام والحوار والتسامح، لأجل التشجيع على التلاقي وتلاقح الأفكار بين مختلف الحضارات بمنطقة البحر الأبيض المتوسط بشكل خاص، والشرق الأوسط بشكل عام، وعلاقته مع الاتحاد الأوروبي. وفي مرحلة لاحقة، ارتبطت عدة مؤسسات بهذه المبادرة الأصلية وتمسكت بها حيث تمثلت تلك المؤسسات على سبيل المثال مركز بيريز للسلام والسلطة الوطنية الفلسطينية بالإضافة إلى كيانات إسرائيلية أخرى ملتزمة بالترويج لهذه القيم، وبعد عام أينعت هذه البذرة فأثمرت وآتت أكلها فكان أن ظهر اتحاد الحضارات الثلاث إلى حيز الوجود في أشبيلية عام ١٩٩٢.

ومن بين الركائز الأساسية لهذا الصرح، والمحاور التي قام عليها هنالك محور تشجيع التعاون المتنامي بين أسبانيا والمغرب وتحليل الأوضاع السياسية في الشرق الأوسط وإجراءاتها في الاتحاد الأوروبي، ولعل هذا الوضع المتميز بين أوروبا والبحر الأبيض المتوسط هو الذي جعل من هذا الاتحاد "أداة لتنفيذ السياسات وإنجاز المشاريع في جو من روح التعاون المتوسطي".

لقد ظل الاتحاد منذ إنشائه محتفظا ببرنامج فعال من الأنشطة والفعاليات المتنوعة المتصلة بالثقافة العربية مثل الحفلات الغنائية والعروض ومعارض الكتب والدورات، وورش العمل والمؤتمرات والتجمعات وما في حكمها. وفي أثناء عرضه الأسبوعي "السينما يوم الثلاثاء"، درج الاتحاد على عرض الأفلام السينمائية العربية بلغتها الأصلية، كما أن هذا الاتحاد يمتلك كذلك مكتبة ومركزا توثيقيا بالعناوين المرتبطة بالمضامين الرئيسية لموضوعاته.

وأما المركز الثقافي الإسلامي في بلنسية فقد تم تأسيسه عام ٢٠٠٠م، وهو عبارة عن مؤسسة ثقافية غير معنية بالسياسة لتقوية العلاقات بين المسلمين والمجتمع الأسباني.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وذلك لأجل تكوين مجتمع تعددي يقوم على الاحترام المتبادل والمعرفة المشتركة، وهذا ما يحمله شعاره. وتتضمن أنشطة المركز تنظيم الدورات لتعليم اللغة العربية و ورش العمل والمعارض والاحتفالات، وعقد المؤتمرات حول المواضيع السياسية والاجتماعية الراهنة المتعلقة بالعالم العربي.

ودرجا على النهج ذاته، يجيء الاتحاد الثقافي الإسلامي، الذي أنشئ لأجل الترويج للحوار الأوروبي الإسلامي، والتشجيع على الاحترام المتبادل بين الحضارات. وهو أيضا يقوم بتنظيم المنتديات العالمية والدورات والمعارض والفعاليات العلمية الأخرى، بهدف الوقوف على الحياة اليومية في العالم الإسلامي.

وللغرض ذاته أنشئ الاتحاد الثقافي في جامعة سرقسطة، حيث يتمثل هدفه الرئيسي في تقوية العلاقات بين أراجون و العالم العربي.

أما مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الأندلس وثقافتها. وتتخذ هذه المؤسسة من ألمرية مقرا لها، وقد استلهمت فكرتها من القامة الفكرية السامقة : ابن طفيل الفيلسوف الأندلسي (توفي عام ١١٨٥م). وأنشئ هذا المركز على يد عدد من أساتذة الدراسات العربية من مختلف الجامعات الأسبانية عام ٢٠٠٣، وذلك بهدف نشر الوعي بالإرث المعرفي الأندلسي. ويعتبر المركز مقرا فريدا ومتميزا وملتقى بين الحضارات العربية والإسلامية والغربية.

وعلى الرغم من أن هذه المؤسسة درجت على تنظيم بعض الفعاليات بصورة دورية، فإن تركيزها الرئيسي كان منصبا على نشاط الطباعة والنشر، ومنذ إنشائها ظلت المؤسسة تركز على مشروع جماعي ضخم يطلق عليه مسمى "مكتبة الأندلس"، وهو يحتوي على تشكيلة من سبع مجلدات من الترجمات والسير لجميع الكتاب والمؤلفين الأندلسيين من القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر. وقد بذلت جهودا مضنية في استخراجها من المصادر العربية الأصلية وتنقيحها من قبل أسبان و أجانب مهتمين بالشأن الاستعرابي .

ويأتي هذا العمل القيم متسقا مع مشروع أكبر منه تحت مسمى "موسوعة الثقافة الأندلسية"، يهتم أيضا بأعباء نشر الأعمال الأخرى عن التاريخ والثقافة العربية والأندلسية.

ثمة معقل آخر من معاقل نشر الثقافة العربية والإسلامية يحمل مسمى (الدار

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العربية) ويتبع له المعهد العالمي لدراسات العالمين العربي والإسلامي[1]. يحتوي هذا المركز على اتحاد أنشئ في اليوم السادس من يوليو تموز من عام ٢٠٠٦م، من قبل وزارة الخارجية الأسبانية والوكالة الأسبانية للتنمية الدولية بالتعاون مع مناطق الحكم الذاتي في كل من مدريد والأندلس ومجلسي مدينتي مدريد وقرطبة.

وهو يعرف نفسه بنفسه بأنه «أداة فعالة تسهم من خلال المؤسسات السياسية والوسائل الاقتصادية والفكرية في تقوية وتعزيز العلاقات متعددة الأوجه مع الدول العربية والإسلامية». ويهدف أيضا إلى أن يصبح «نقطة مرجعية لدراسة واقع وتاريخ تلك الدول، ومن ثم فهو يسعى إلى القيام بدور ثنائي الاتجاه: نشر المعرفة عن الحقائق والوقائع العربية والإسلامية في السياق الأوروبي والغربي وبالعكس». ويمثل «البيت العربي» مركز إشعاع فعالا جدا، عبر تنظيم المعارض ودورات السينما والمحاضرات وما إلى ذلك، ونشر الأعمال وتقديم دورات اللغة العربية. كما يشتمل على مركز توثيقي ومكتبة إعلامية، بالإضافة إلى امتلاكه مكتبة إليكترونية.

هنالك مراكز ومؤسسات ثقافية أخرى تبدي اهتماما خاصا تجاه الموضوعات الأندلسية المحلية، على الرغم من أن تلك المراكز والمؤسسات لا ترتبط ارتباطا مباشرا بالدراسات العربية والإسلامية. ويمكننا إيراد ما يلي منها: مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها، والذي تأسس عام (١٩١٠)[2] ومعهد دراسات جيان، ومعهد دراسات ألمرية،

١- في هذا المعهد المماثل في فكرته وأدواره للدار الأمريكية (Casa America) والدار الآسيوية (Casa Asia) ودار إفريقيا (Casa Africa) ودار اسرائيل (Casa Sefardí –Israel)de Madrid انظر دار العرب (Casa Árabe) في (المؤتمر الخامس للسفراء والدبلوماسية الأسبانية العامة والسياسة الخارجية) "en V Congreso de Embajadores Diplomacia pública y política Exterior. (أدوات الدبلوماسية العامة Instrumentos de la Nueva Diplomacia pública española الأسبانية الجديدة) (مدريد ١١-٨ سبتمبر ٢٠٠٨ م) (مدريد: الإدارة العامة للإعلام الخارجي- وزارة الخارجية والتعاون. -Madrid: Dirección General de Comunicación Exterior Ministerio de Asuntos Exteriores y de Cooperación، ٨٤-١٠٩، حيث يتم استنساخ بعض الصور للفعاليات الأكثر تعبيرا عن واقع الحال.

٢- للمزيد من المعلومات عن هذا المركز يرجى الاطلاع على: ل. سيكو دي لوثينا (الاستعراب الغرناطي. مركز الدراسات التاريخية لغرناطة ومملكتها)» "Arabismo granadino. El Centro de

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ومعهد دراسات سبتة. وتركز جميع هذه المراكز العامة أنشطتها على المسائل والموضوعات المحلية والإقليمية التي تتضمن نشر الأعمال التي تختص بالماضي الأندلسي.

وفي قلب ما كان يعرف بعاصمة بني أمية الأندلسيين فإن قرطبة تنبض بمكتبة (viva de Ándalus)، وهي مبادرة قائمة على أساس التنوع الثقافي الذي ينمي المعرفة بين ثقافات الأديان الثلاثة في تلك المنطقة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) من خلال الأنشطة التي يقوم بها المركز مستلهما من النموذج الأندلسي للتعايش.

وفي غرناطة أنشئت مدرسة الحمراء في قلب قصر الحمراء وجنة العريف، والتي تعتبر من المراكز البحثية المتقدمة. والهدف الرئيسي لهذه المدرسة هو دعم ونشر المعرفة للإرث التاريخي للعصر النصري بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر. وتضم هذه المدرسة العديد من الأكاديميين والمتخصصين في مجالات العمارة والفن الإسلامي والترميم والحدائق والأوجه الثقافية الأخرى، وتنظيم البرامج التعليمية لدراسة الماجستير وورش العمل وإقامة الندوات والمؤتمرات والمحاضرات، بالإضافة إلى مختبرات البحث والمنح الدراسية والجوائز التي تعمل على تشجيع البحث العلمي.

وأخيرا نستطيع أن ندرج بعض المراكز المتخصصة في تعليم اللغة العربية في أسبانيا مثل المدرسة الرسمية للغات (EOI)، وكذلك شبكة واسعة من المراكز الرسمية غير المرتبطة بالجامعة والمتخصصة بتعليم اللغات، وتتبع هذه المراكز إلى مجالس التربية والتعليم في مختلف أقاليم الحكم الذاتي في أسبانيا. ومن بين تلك المراكز يمكن أن نذكر وحسب الترتيب الهجائي: ألمرية وبرشلونة وقرطاجنة وسبتة وقرطبة وغرناطة ولاكورونيا ولاس بالماس وبالما دي ميورقة وبلنسية ومالقة.

بالإضافة إلى معاهد أخرى يبرز من بينها معهد دار اللغات الذي يعتبر المعهد الفريد الذي يوجد لديه فرع في مدينة تطوان المغربية والفرع الرئيسي في مدينة غرناطة، على اعتبار أن هاتين المدينتين أختان مشتركتان في التاريخ وكذلك للصلة العميقة لهذه الأخيرة بالتاريخ الإسلامي، ومن بين الخدمات المقدمة من قبل هذه المدرسة: تقديم دورات و دروس في اللغة العربية الحديثة واللغة الفصيحة والحضارة العربية، وبرامج

Estudios Históricos de Granada y su Reino y su Revista (١٩١١-١٩٢٥)، MEAH، ٧ (١٩٥٨)، pp. ٩٩-١٣٥.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ثقافية متنوعة ودروس في اللهجات المغربية والمصرية ودروس في الثقافة العربية، إضافة إلى بعض النشاطات التكميلية كالزيارات الميدانية إلى المواقع الأثرية الإسلامية في غرناطة.

خاتمة:

لقد كان أكبر دافع لإنشاء هذا الفرع من الدراسات في بلادنا هو ما أملته ضرورة التعرف على جزء كبير من ماضينا والذي لا مراء في أنه كان عربيا وإسلاميا قبل قرون مضت، ولعل هذه الحقيقة هي التي تضفي على الاستعراب الأسباني مبررا للوجود وتعطي المسوغات المتعددة لدراستنا للعربية، وقد تم الترويج لذلك في عدد معتبر من المحافل والمنابر الأكاديمية وغير الأكاديمية التي أنشئت منذ ستينات القرن الماضي لاستطلاع آفاق الأندلس والعالم العربي في القرون الوسطى، واستكشاف مكوناته وتحليل العالم العربي الإسلامي القديم والمعاصر من منظور متميز.

وعلى الرغم من أن قبول الأندلس بوصفها جزءا من الكل التاريخي لأسبانيا لا يزال مدار تساؤل ومثار شك من قبل بعض القطاعات، فإن الدور الذي اضطلع به الاستعراب قد أسهم بقدر كبير في تعزيز وجود هذه الحقبة التاريخية المهمة في الذاكرة الجمعية الأسبانية، ولعل الاحتفال الذي شهدته سنة (٢٠١١) تخليدا للذكرى المئوية الثالثة عشر لقيام دولة الأندلس (٧١١-٢٠١١)، إنما يمثل فرصة رمزية سانحة لتذكير الشعب الأسباني والمؤسسات الأسبانية بالإسهام الضخم للعنصر العربي في المشهد الثقافي الخاص بنا والأثر البالغ الذي تركه في حياتنا.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة العربية في أسبانيا

د. نيقولاس روزير نبوت
جامعة مالقة

العربية: لغة من لغات أسبانيا

- في اللغة الاسبانية لفظان قديمان يدلان على اللغة العربية كاسمين خاصين لها لا ينطبقان على أية لغة أخرى:

أولهما «الخاميا» بمعنى العجمية، اللغة العجمية، مثلما هو معناه في العربية أي لغة العجم، لغة غير العرب، لغة من ينطق بغير العربية. وسبب وجود هذا المفرد العربي في اللغة الأسبانية بالدلالة نفسها التي له في اللغة العربية هو أن المسلمين في الأندلس كانوا يطلقون هذا الاسم على اللغات المنطوق بها عند سكان الممالك المسيحية الشمالية في إيبيريا، التي كانت تنافس الأندلس في الحكم على شبه جزيرة إيبيريا، وانتقل هذا الاسم إلى سكان تلك الممالك الشمالية المسيحية وكانوا يعرفون أن لغتهم هي عجمية بالنسبة للعربية. وتبني اللغة الأسبانية هذا اللفظ العربي دليل على أهمية العربية في الديار الأسبانية منذ التأريخ الأول للأسبانية، وعلى دورها في تكوين اللغة الأسبانية في أصواتها وفي ألفاظها وفي كلامها. وآثار ذلك الدور ما زالت ظاهرة في اللغة الاسبانية بالرغم من أن الكثير منها تلاشت مع مرور الزمان لأسباب مختلفة، من ضمنها تأثر الأسبانية بلغات أخرى مثل الفرنسية، اعتبارا من القرن الثامن عشر الميلادي/ الثاني

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عشر الهجري، والإنجليزية، اعتبارا من الستين سنة الماضية.

إن النطق الاسباني، في أصله وبسبب تأثير اللغة الباسكية ولغات إيبيرية أخرى قبل الاستعمار الروماني لشبه جزيرة إيبيريا، قريب من النطق العربي، وفي اللغة الأسبانية الصحيحة صوتان مأخوذان من العربية وهما الثاء والخاء في الكتابة والنطق. وهناك أصوات عربية أخرى موجودة في النطق الأسباني ولكنها غير معبر عنها في الكتابة مثل الذال والصاد والغين.

ووجود هذه الأصوات العربية في النطق لا يعنى أن الناطقين بالأسبانية واعون وقوعها في لغتهم وأنهم قادرون على تمييزها واستخدامها في تعلمهم العربية. ولكن من الممكن الإشارة إلى وجودها في النطق الأسباني عبر أمثلة لتوعيتهم بها. وفي اللهجات الأسبانية عامة وفي الجنوبية خاصة، هناك أصوات عربية أخرى وهي الهاء والشين والجيم، وفي لهجة أهالي غرناطة القاف. وكل هذه اللهجات معروفة سماعيا عند جميع الأسبان في إسبانيا ومن الممكن الاستدلال بها لتقريب اللغة العربية إليهم وتشجيعهم على تعلمها. وكذلك هناك قرابة بين العربية والأسبانية في جمع الحركات وورودها في تشكيل المفردات. فالحركات العربية الثلاث (الفتحة، الكسرة والضمة) موجودة في الأسبانية.

والمعنى الثاني ل»الخاميا» (العجمية) بالأسبانية يدل على طريقة الكتابة عند الموريسكيين، وهم المسلمون المتبقون في شبه جزيرة إبيريا الذين أجبروا على التنصر قهرا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري ومطلع القرن السادس عشر الميلادي/ العاشر الهجري. وفي الحقيقة تظاهروا بالتنصر وتمسكوا بالإسلام خفية آخذين بمبدأ التقية المنصوص عليها في القران[1] والسنة[2]. والأمر العجيب في قضية

١- هناك آيتان في القران تضبطان مسألة التقية في الإسلام وهما: ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِّ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل ١٠٦؛ و﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤمِنُونَ الكافِرينَ أولِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤمِنينَ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ إلاَّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وإلى اللهِ الْمَصيرُ﴾، آل عمران، ٢٨.

٢- وفي السنة، هناك الحديث الذي يذكر سبب نزول الآية ١٠٦ في سورة النحل: «قيل :نزل قوله ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ في جماعة أكرهوا [على الكفر] وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب، وعُذّب وقتل أبو عمار وأمه وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تطبيق مبدأ التقية في الأندلس بعد احتلالها أن أول من عمل به هم اليهود قبل مائة سنة، وفي بعض المناطق مثل جزيرة ميورقة (١٣١٥م) ما يقرب من مائتي سنة في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري أو في العقد الأخير لهذا القرن الميلادي (١٣٩١م)، وفي جملة الممالك الإيبيرية الخاضعة لسلطة إيزابلا وفرناندو في شهر مارس عام ١٤٩٢م بعد ثلاثة أشهر من سقوط غرناطة في أيديهم.

وطريقة الموريسكيين في الكتابة هي كتابة اللغة الأسبانية أو اللغة الكطلانية أو اللغة الأراغونية، أو لهجة من لهجات هذه اللغات الثلاث بالحروف العربية وتسمى اللغة الإيبيرية المكتوبة بالحروف العربية كذلك «الخاميادو» بمعنى اللغة العجمية المكتوبة بحروف العربية. ومن ظرافة الوضع في «الخاميا» و«الخاميادو» أن كلا اللفظين صار من الكلمات الأسبانية التي تحمل معنى وعكسه، أي أنهما من الأضداد في اللغة الأسبانية. فالأسبان النصارى في أيام الموريسكيين فهموهما على أنهما دالتان على اللغة العربية لأن النصوص ب«الخاميا» أو ب«الخاميادو» هي نصوص عربية بالنسبة لهم لأنها مكتوبة بالحروف العربية ولو كانت ألفاظها وتراكيبها أسبانية، لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا يفهمونها. أما بالنسبة للموريسكيين في أراجون وقشتالة[1] كانوا يعرفون الحروف العربية وقد نسوا معظم قواعد وألفاظ اللغة العربية. وعلى ذلك فإن لغة النصوص ب«الالخاميا» أو ال«الألخاميادو» هي نصوص عجمية باللغة الأسبانية ولو كانت كتابتها بالحروف العربية.

ودفع الموريسكيين إلى استخدام الحروف العربية لكتابة لغة من اللغات العجمية في إيبيريا ثلاثة دوافع:

سبحانه بذلك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال قوم : كفرعمار، فقال صلى الله عليه وسلم : «كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه». وجاء عمار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فقال صلى الله عليه وسلم: ما وراءك؟ فقال: شر يا رسول الله، ما تُركتُ حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فجعل رسول الله، صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول : «إن عادوا لك فعد لهم بما قلت» فنزلت الآية.» (الطرسي، ٢٠٠٥، الجزء السادس: ص ١٥٤-١٥٥).

١- في مملكة بلنسية وهي ممكلة تابعة لأراجون وفي مملكة غرناطة التي كانت تابعة لمملكة قشتالة بعد استيلاء إزابلا وفرناندو عليها، كان الموريسكييون احتفظوا بالعربية على مستوى عال ورقعة واسعة حتى طردهم من الممالك الأسبانية بين ١٦٠٩ - ١٦١٤م.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الدافع الأول أنه في مملكة أراجون وفي مملكة قشتالة، نسي الموريسكيون لغتهم العربية التي غدت حكرا على بعض الفقهاء الذين كانوا قلة، ولجأ هؤلاء ومن كان له شيء من الفقه عند الموريسكيين إلى استخدام اللغة الأسبانية أو الكطلانية وخصوصا الأراغونية لتأليف كتبهم الدينية أو في الثقاقة الإسلامية. وذلك لأن استعمال اللغة العربية كان ممنوعا منعا تاما للنصارى في الممالك الإيبيرية، وبعد إجبار اليهود والمسلمين على التنصر لم يبق أحد مرخص له في استعمال اللغة العربية إلا المبشرين بالمسيحية بين المسلمين. ومن المهم في مكان معنى أن اسم «موريسكو» بالأسبانية هو إسم تصغير ل»مورو» يعنى «المغربي» لكن المقصود بالمغربي هو العربي المسلم أو المسلم العربي، و بالأحرى النصراني الذي أصله عربي أو أصله إسلامي وتحول إلى المسيحية. وفي استعمال الأسبانية وسائر اللغات الإيبيرية الـ»مورو» هو المسلم وهو العربي. وفي الممالك الأسبانية النابعة عن الاستيلاء على أقاليم الأندلس، لم يكن هناك إلا مسلمون ناطقون بالعربية من بعد تعرب سكان الأندلس في القرن الأول بعد فتحه. وهو سبب تسمية مسلمي الفيلبين بـــ»مورو» لما لاقاهم الأسبان الذين غزوا تلك الجزر واستولوا عليها اعتبارا من ١٥٦٥م.

والدافع الثاني لاستعمال الحروف العربية في كتابة نصوصهم الدينية والدنيوية هو عزمهم على التمسك بالعربية، كرمز من رموز الإسلام وكأهم آية لولائهم للإسلام، تمكّنهم من الظهور بها فيما بينهم دون إثارة انتباه السلطات أو الجيران غير المسلمين. وقد حولت المساجد إلى كنائس أو غيرها مثل الأكنان، وأحرقت المصاحف ومنع الأذان لأنه من أكبر شعارات الإسلام، فلم يظل هناك إلا الحروف العربية للدلالة المادية على الهوية الإسلامية للموريسكيين.

والدافع الثالث في الكتابة بالحروف العربية عند الموريسكيين هو إسرار مضمون النصوص التي هي، على الغالب تتناول أمور الدين الإسلامي الذي هجروه علنا واحتفظوا به خفية. وبهذه الطريقة في الكتابة لم يكن من الممكن لمن ليس منهم، وحتى من كان منهم ولم يعلم الحروف العربية، الاطلاع على موضوع النصوص وبالتالي يحاكمهم عند محكمة التفتيش على تشبثهم بدينهم الأصلي. وحتى في حالة الوشاية إلى محاكم التفتيش كان من الممكن للموريسكيين إنكار معرفة مضمون النصوص بسبب جهلهم الحروف العربية والادعاء بأن تلك الكتابات هي كتابات قديمة احتفظوا بها

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

على طريق الصدفة بدون مبالاة بالمكتوب فيها.

والمفرد الثاني الدال على اللغة العربية بالاسبانية هو «الغارابيا». وهو مأخوذ من اللفظ العربي «العربية». والمعنى الأول لهذا المفرد هو اللغة العربية نفسها، وهو المعنى في اللغة الأسبانية الفصيحة وهي اللغة الوحيدة مع اللغة اللاتينية التي لها اسم خاص بالأسبانية، وليس نعتا على اسم لغة. وقد تبنى اللفظ معنى آخر نابت من المفهوم الشعبي لـ»الغارابيا» وهو معنى التبلبل والشغب وحتى الصخب والضجيج؛ لأن الأسبان المسيحيين حينما كانوا لا يفهمون الكلام العربي الذي كان جاريا بين العرب المسلمين الذين بجوارهم كانوا يشبهونه بالصراخ والغموض. وعلى ذلك فقد انتقل المعنى إلى حالة فوضى يتعالى فيها الصياح والشغب. وبالرغم من ذلك فقد بقيت عند الأسبان القدماء، وإلى حد الآن، عبارة «أبلار إن ألغارابيا» التي تعني «التحدث باللغة العربية». وهناك لفظ أسباني آخر متعلق ب»الغارابيا» ومشتق منه وهو «الغارابيو»، بمعنى الـ»عربي» أي الناطق بالعربية، وعلى الخصوص العربي من جزيرة العرب.

ومن الكلام السابق، نستنتج أن العربية ليست لغة غريبة عن الأسبان والأسبانية، ومن السهل للغاية العثور على عناصر لغوية وحضارية عربية في لغتهم وثقافتهم لكنها مموهة شيئا ما وهم في حاجة إلى التنبيه لها كي يعرفوها ويعتبروها.

لقد حاول الدارسون إحصاء عدد الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية ونسبتها في اللغة الأسبانية. وأول من عمل ذلك، في عام ١٩٤١ هو الفنلدي نيوفونين الذي عد الألفاظ العربية في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، ووجد أن نسبتها في اللغة الأسبانية في ذلك القرن هي ٠،٣٦-٠،٤٤٪ في مجموعة ٤،٤ مليون كلمة. وقد جاء على آثره الدكتور فيليبي مايبو الذي حسب الألفاظ العربية في النصوص التي قرأها بالأسبانية ووصل الحساب إلى ٢٥٦٦٣ كلمة عربية من ضمن ٢٠ مليون كلمة وقد زاد على ذلك العدد ٢٥٦٦ استدراكا للخطأ في الإحصاء. ووصلت الألفاظ العربية إلى ٢٨٢٢٩ كلمة. ونسبة هذا العدد من الألفاظ العربية في مجموعة ٢٠ مليون كلمة هي ٠،١٤٪ (مايبو، ١٩٩١: ص ٤٧٩).

وقد اختلف دارسون آخرون في عدد الألفاظ العربية في الاسبانية عما قاله نيوفونين ومايبو. فذهب الدارس كانو إجيلار إلى أن نسبة هذه الألفاظ هي ٨٪ من جملة الألفاظ

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأسبانية. وأن عددها هو ما بين ٨٠٠ و٩٠٠ لفظ وتصل إلى حوالي ٤٠٠٠ كلمة مع مشتقاتها (كانو إجيلار، ١٩٨٨: ص ٥٣).

وقال أنطونيو ألاطوري في كتابه ألف عام على اللغة الأسبانية، ورافئيل لابيسا في كتابه تأريخ اللغة الأسبانية، إن رصيد الألفاظ العربية في الأسبانية ٤٠٠٠ كلمة (ألاطوري، ١٩٩١٣:ص ٧٩) وقال لابيسا إن ما قدر عليه من تبيين أصله العربي هو ٨٥٠ كلمة أصلية و٧٨٠ مشتقا عنها. وذلك فضلا عن ألف من المواقع الجغرافية تحمل أسماء عربية مؤكدة وخمسمائة أخرى تحتمل هذا الأصل اللغوي العربي (لابيسا،٢٠٠١ : ص١٣٣).

ولقد نظمت السيدة جانا هامرسكا من جامعة ماساريكوفا في مدينة برنو في جمهورية التشيك، في بحث عن الألفاظ العربية الواردة في الأسبانية والبرتغالية نالت بها درجة الماجستير عام ٢٠٠٩، عددا من الألفاظ العربية المتواجدة في اللغة الأسبانية في لوحات ثلاثة: حسب الطريقة الانتقال إلى تينك اللغتين وحسب مجال العلم الخاص لها. وهنا اللوحات الثلاث المترجمة إلى العربية.

تصنيف الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية حسب طريقة الانتقال إليها

طريقة مجهولة	عبر الإنجليزية	عبر الإيطالية	عبر الكطلانية	عبر البرتغالية	عبر الفرنسية	عبر اللاتينية
٦	٢	٢	٣	١	١٠	١٣

عبر عربية المستعربين (العرب النصارى في أيبيريا)	عبر عربية المستعربين وعربية عرب الاندلس	عبر العربية المغربية في المغرب الأقصى
١	٢	١

عبر العربية المغاربية	عبر العربية الفصحى	عبر العربية العامية	عبر العربية الأندلسية
١	١٢	٢٧	٢٠٥

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

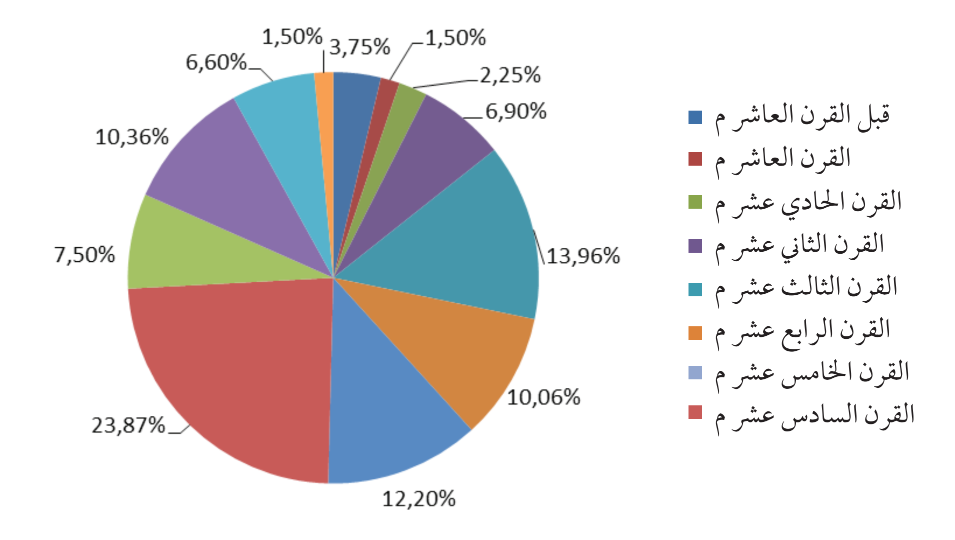
عدد الألفاظ العربية في اللغة الأسبانية على مرور الزمان

القرن ه/ م	VIII2 /	IX3 /	X4 /	XI5 /	XII6 /
العدد	٠	١	٣	٥	٢

القرن ه/ م	XIII7 /	XIV8 /	XV9 /	XVI10 /	XVII11 /
العدد	٥٧	٣٤	٦٦	٥٦	١٩

القرن ه/ م	XVIII12 /	XIX13 /	XX
العدد	١٨	١٩	٤

نسبة دخول الألفاظ العربية إلى اللغة الأسبانية عبر القرون الميلادية



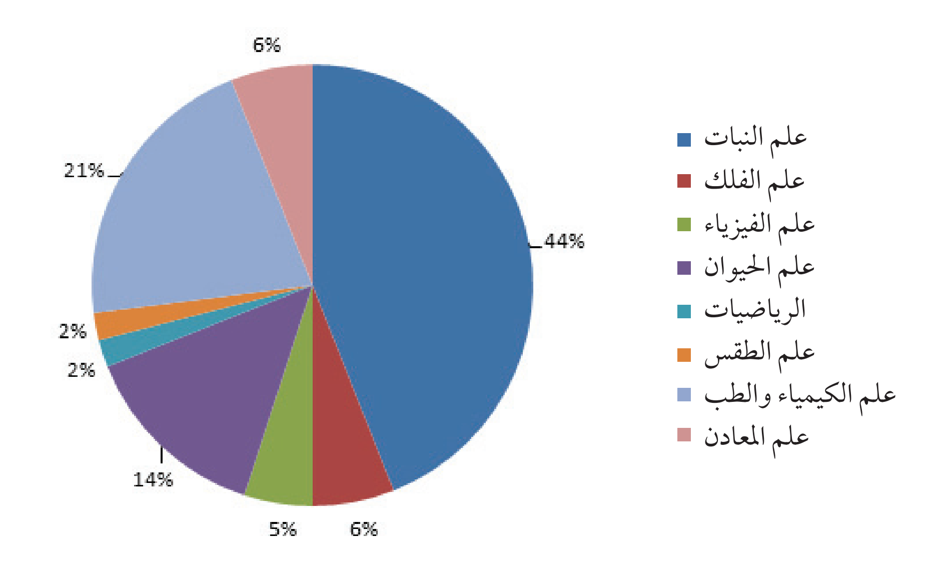
هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تصنيف الالفاظ العربية في اللغة الأسبانية حسب مجال العلم الخاص لها

علم الطقس	الفيزياء	علم المعادن	الرياضيات
٦	١٤	١٨	٥

علم الفلك	الكيمياء والطب	علم الحيوان	علم النبات
١٧	٦٣	٤٢	١٣٣

نسبة الألفاظ العربية الداخلة في اللغة الأسبانية حسب العلوم ومجالات المعرفة



ولكن هذا العدد يبدو ضئيلا حسبما هو ملحوظ في اللغة الأسبانية من كلمات عربية ويحتاج الموضوع إلى دراسات علمية دقيقة معتمدة على لمس النصوص وسرد الألفاظ وتكوين قواعد معلومات عن الألفاظ العربية الواردة في اللغة الأسبانية والعدد الكامل لهذه اللغة الأخيرة. ويجب أن لا يغيب عن البحث في هذا الموضوع أن معظم الألفاظ العربية المتواجدة في الأسبانية هي موجودة في لغة الحرف والاحتراف، وليس في اللغة المتداولة على عموم الألسنة. ومعظم هذه الدراسات عن نسبة وعدد الألفاظ العربية في

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأسبانية مستندة إلى هذه الألفاظ في اللغة المعروفة عند الجميع وليس عن المحترفين. وفي ذلك مجال واسع لمشاريع ضبط الألفاظ العربية الموجودة في اللغة الأسبانية وفي لغات أخرى مثل البرتغالية ومعرفة نوع هذا الوجود وأسبابه سواء أكان في الوقت الراهن أم في زمن من الأزمنة اعتبارا من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وهو القرن التالي لفتح الأندلس في سنوات قليلة والذي بدأ فيه تعريب وتعرب الأندلس لغويا وثقافيا.

الدراسة العلمية للغة العربية في أسبانيا

إلى أهمية اللغة العربية لدراسات اللغة الأسبانية والأدب الأسباني يشير أنطونيو ناساري (١٦٨٩م-١٧٥١م)، المدير الأعلى للمكتبة الملكية في ولاية الملك فيليبي الخامس (١٦٨٣م-١٧٤٦م) والملك فرناندو السادس (١٧١٣م-١٧٥٩م)، وقد دون رأيه وزير الخزانة الوطنية في ولاية الملك كارلوس الثالث (١٧١٦م-١٧٨٨م)، بيدرو رودريغيث كامبومانس، الذي كان مؤرخا وخبيرا بالاقتصاد واللغات الأجنبية، القديمة منها والمعاصرة بما في ذلك العربية، عام ١٧٨٧م في «المقدمة عن فائدة اللغة العربية» التي ظهرت ديباجة على المعجم الأسباني اللاتيني العربي للراهب الفرانثيسكاني فرانثيسكو كانيس (1787: XII-XIII-XIV):

«لقد جاء الــ "موروس" (وهكذا تسمية العرب في كتبنا على العموم) بالحروف العربية إلى أسبانيا وقتما استولوا عليها، وقد صدرت مدارس قرطبة المشهورة الكثير من الأدباء، منهم من نعرفهم ومنهم من سيخرج من غبار المكتبات إذا استمر هذا العكوف على تعلم العربية. وربما يخرجون إلى ضوء التاريخ والفنون، لأنه قد حفظ المؤلفون العرب في كتبهم العديد من المؤلفات اليونانية التي لم نحصل عليها إلا بواسطتهم ومن الممكن أن يكون بين تلك الكتب [التي لم تتم ترجتها إلى الأسبانية أو لغات أوروبية أخرى] من ندمنا على فقدانها، وهي مجهولة عندنا فحسب. [..] ويجب أن تفهموا كيف تم أخذ الكثير من الألفاظ من اللغة العربية. واعلموا أنه إن كانت لدينا ألفاظ لاتينية تقابل الألفاظ العربية التي نستخدمها لتسمية أشياء كثيرة فإن الدأب على استعمال هذه الأخيرة جعلنا نفضل الألفاظ العربية على اللاتينية في تسمية تلك الأشياء. وعلى ذلك فإننا نقول "الفومبرا" [الحمرة أي الزربية الحمراء بمعنى البساط في عموم دلالته]

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بدلا من "تابيتي" ونفضل "الكريفيتي" [الكبريت] على "بيادري-ثوفري" و"أثيتي" [الزيت] على "أوليو". ولا أنخدع إذ قلت إن ما أخذنا من الـ"موروس" ليست عندنا له إلا الألفاظ العربية لتسميته لأنهم بأنفسهم هم الذين أدخلوا هذه الأشياء هنا. وإن انتبهتم للأمر وجدتم أن الألف واللام اللتان يستعملهما الـ"موروس" للتعريف بإلصاقهما إلى أكثرية الأسماء امتزجتا ببعض الألفاظ اللاتينية، وهذا دليل على أننا لا نحسب هذه الألفاظ ألفاظا لاتينية».

ويزيد في التنبيه إلى ضرورة معرفة اللغة الأسبانية عند الأسبان، الوزير كامبو مانس بعينه في المقدمة نفسها إذ يقول فيها (XV-XIV:1787):

«وبسبب ذلك فإن الإلمام بهذه اللغة [العربية] ضروري للأسبان لفهم نصوص لغتهم نفسها مثلما هو لازم لترجمة وتحليل النصوص العربية. وأهمية اللغة العربية هذه عامة وخاصة لنا تدل على فائدة وجود قاموس كامل مثل المقدم هنا، والذي أسبغ عليه مؤلفه أعلى رعاية وضبط وفيه تقابل دقيق بين الألفاظ في كلتا اللغتين. ويمكن هذا القاموس أيضا من تمييز الألفاظ العربية من غيرها بوضوح، سواء أكانت التي احتفظت بشكلها الأصلي أم التي تنكرت عن أصلها واختلطت. وهذا التمييز ضروري من أجل إدراك المعنى الصحيح لها والمقصود القائم بها».

وظل هذا الاهتمام العلمي باللغة العربية قائما، وازداد وتوسع منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا عبر أطوار مختلفة من الدراسات العربية والإسلامية والدراسات اللغوية والتاريخية للغة الأسبانية نفسها، التي انكب عليها، ليس اللغويون الأسبان فحسب، بل اللغويون الأجانب كذلك.

فكما اتضح الأمر من الفقرات السابقة بدأت الدراسات العربية والإسلامية في القرن الثامن عشر الميلادي/ الثاني عشر الهجري بتوثيق التراث العربي الأندلسي المتبقي في المخطوطات المختزنة في مكتبة دير الأسكوريال في مدريد، ومؤسسات إسبانية أخرى وبإصدار القواميس الواردة بلغتين أو ثلاث -عربية ولاتينية وأسبانية- (روزير نبوت : ٢٠١٤):

«وأقدم القسيس اللبناني مخائيل الغزيري (١٧١٠م-١٧٩١م)، الذي كان في الوقت نفسه الترجمان الملكي للغات الشرقية، على إعادة وإنشاء فهرسة جميع

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المخطوطات العربية في دير الأسكوريال وأصدر فهرسها في مدريد عام ١٧٦٠ باللغة اللاتينية بعنوان «مكتبة الأسكوريال الأسبانية العربية التي تتضمن جميع المخطوطات العربية التي هي في الأكثر مؤلفات الأندلسيين وقد تم سردها وتوضيح مضمونها». وكان ذلك الفهرس يحتوي على دراسة موجزة للمؤلفات العربية المحفوظة في المخطوطات وهو الفهرس المعمول به إلى حد الآن لدى المستعربين الأسبان. ولا يزال الباحثون يستخرجون المخطوطات لدراستها وتحقيقها لأن العدد الأكبر منها ما انفك باقيا من غير دراسة ولا تحقيق ولا مقارنة، فتعتبر مكتبة الأسكوريال على الصعيد الدولي المنبع الأول للمخطوطات العربية في العصر الوسيط الأوروبي والذهبي الإسلامي. وذلك بالرغم من أن في فهرس الغزيري هناك أخطاء في نسبة المؤلفات والمخطوطات إلى أصحابها».

واستطردت دراسة العربية والنصوص المكتوبة بها في القرن تاسع عشر الميلادي/ الثالث عشر الهجري بميلها إلى تحقيق وترجمة كتب تاريخ الأندلس والكتب العلمية التي تم إنتاجها في أراضيها. وسميت هذه الدراسات العربية والإسلامية في ذلك القرن الاستعراب أي دراسة النتاج الثقافي والأدبي الأندلسي بالعربية، أو بمعنى آخر دراسة نتاج عرب أسبانيا. وذلك تحول جذري في مفهوم الظاهرة التاريخية التي تمثل الأندلس في تاريخ أسبانيا ونظرة جديدة إلى الحضارة العربية والإسلامية ومفعولها في الهوية القومية الأسبانية خاصة وفي الحضارة العالمية عامة (روزير نبوت ٢٠١٤):

«وهكذا ترجم خوسيه أنطونيو كوندي كتاب ذكر الأندلس للإدريسي وألف كتابا عن تاريخ الأندلس بعنوان «تاريخ حكم العرب على أسبانيا المأخوذ من بعض المخطوطات والمذكرات العربية» الذي صدر بعد وفاته بين ١٨٢٠-١٨٢١. وألف بسكوال جيانجوس مقالة بالإنجليزية عن «لغة وأدب الموريسكيين» في عام ١٨٣٩ وترجم نصوصا مختارة من كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمؤرخ الجزائري المقري إلى الإنجليزية بعنوان: «تاريخ الدول المحمدية {أي الإسلامية} في أسبانيا» في لندن بين ١٨٤٠-١٨٤٣».

ومن ضمن هذه الجهود في إحياء التراث العربي الأندلسي والاستفادة منه تجدر

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الإشارة إلى المكتبة العربية الأسبانية التي هي عبارة عن موسوعة أهم مؤلفات التاريخ الأندلسية. وهو مشروع أنجزه المستعرب العظيم فرانثيسكو كوديرا (١٨٣٦م-١٩١٧م)، الذي نظم الدراسات العربية والإسلامية في أسبانيا على شكلها الأكاديمي، وهو المؤسس للاستعراب الأكاديمي الأسباني الذي يماثل الاستشراق الخاص بأسبانيا، النابع عن تاريخ أسبانيا المميز بوجود الأندلس فيه. ووصل تأسيس الأستاذ كوديرا للاستعراب الأكاديمي الأسباني إلى درجة أن تلامذته، وهم منبع كل من جاء من ورائهم من المستعربين الأسبان إلى يومنا هذا، أطلقت عليهم تسمية «بني كوديرا»، هكذا بالعربية على أنه قبيلة من قبائل العرب المستوطنين الأندلس.

وتتكون المكتبة العربية الأسبانية من عدة مجلدات تحتوي على كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم وحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال، وكتاب تاريخ علماء الأندلس ابن الفرضي، وكتاب تكملة الصلة لابن الأبار، وكتاب المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفي لابن الأبار كذلك، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر الضبي. وتم إصدار تلك المكتبة في أجواء صعبة وجهد جبار لأنه لم تكن هناك مطابع بالحروف العربية في أسبانيا كلها فأمر كوديرا بصنعها ووضعها في منزله الخاص حيث طبع هو بنفسه وبعون تلاميذه كتب تلك المكتبة بين ١٨٨٢م و١٨٩٥م.

وفي القرن العشرين/ الرابع عشر الهجري انتقلت جهود المستعربين الأسبان، الذين درسوا التراث الأندلسي في نصوصهم العربية، إلى كتب الدين والفلسفة وما يتعلق به من أخلاق. وبرز في هذه الميدان، باعتباره شيخه ورائده، القسيس المستعرب ميجيل أسين بلاثيوس (١٨٧١م-١٩٤٤م) الذي كان أحد «بني كوديرا» ومؤسسا لتوه مذهب الدراسات الإسلامية عند المستعربين.

وفي الثلاثينات من القرن العشرين ركز المستعربون الأسبان في مؤلفات الأدب الأندلسي، على يد الأستاذ المستعرب أميليو جرثيا جوميث، التلميذ المتفوق لأسين بلاثيوس، وآخر «بني كوديرا» لأنه طوّر الاستعراب وأتى به إلى مرحلة أخرى ما زال طابعها يختم أعمال جميع المستعربين بعده، وركز بحوث الاستعراب في أدب شعر الأندلس بترجمة نصوصها إلى الأسبانية ونشرها. وقد كان من فضله إنشاء مدرسة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الدراسات العربية والإسلامية في مدريد وغرناطة عام ١٩٣٢ م لمعرفة التاريخ الأسباني وثقافته بالكامل مع إضافة تاريخ الأندلس إليه (غرثيا جوميث ١٩٥٤: ص ٩٥):

«فبانكبابنا [أي انكباب المستعربين] على الدراسات العربية فإننا نخدم الثقافة الأسبانية (التي هي غربية، أوروبية ومسيحية). وفي شر الحالات فإننا نؤدي ما هو الواجب حسب رأي الإغريق أي «دراسة علم الغرباء» (بربارون صوفيا بالإغريقية)، لأنه ليس هناك أقوى شعب من الذي يعرف الشعوب الأخرى أحسن معرفة. وعلاوة على ذلك وفي أسبانيا فإن كون الإنسان مستعربا يعنى التقصي لتاريخنا واكتشاف أبعاد مستحدثة في حياتنا. ولقد أدرك ذلك الكل من مجلس نادي الكازينو الذي يتباحث في معاني أسماء الأماكن [التي هي باللغة العربية] إلى الفلاح الذي يعثر على إناء من الخزف مليء بالدينارات والجندي الذي يصعد إلى الـ«خيرلدا»[1] يوم عطلته. فبحق إن التوثيق لهو واجب على من يكتب تاريخ وطننا أو تاريخ العالم في أي ميدان! إن فهم قسط كبير من القرون الوسطى صعب للغاية بدون العربية. ودار «الشبيث»[2] [أي الجباس يالعربية وهو لفظ كان ينطق جبيسا بالإمالة في لهجة إمارة غرناطة] التي أقمنا في غرناطة لم تكن أمرا من الحنين ولا من حب الغريب من الأمور بل كانت ضرورة وأداة توجيه للمستقبل».

وعلى ذلك أصدرت مدرسة الدراسات العربية والإسلامية مجلة الأندلس منذ عام ١٩٣٣ حتى ١٩٧٨ لتقديم البحوث العلمية التي تمت بصلة إلى الأندلس. وبالرغم من أن مجالات اهتمام المجلة كانت تشمل جوانب حضارة الأندلس بأجمعها فإنها مالت من البداية إلى مباشرة مواضيع الأدب والشعر والعادات أكثر مما عالجت القضايا والأحداث التاريخية. وكان ذلك سببا للاختلاف الشديد في بالبحوث حول الأندلس بين المؤرخين والمستعربين، على صدارة كل فريق، المؤرخ الكبير، نقولاس سانشيث ألبورنوث [البُرْنُس بالعربية] وأميليو جرثيا جوميث (أدواردي مانثانو ٢٠٠٩: ص ٢٢٢-٢٢٣):

«بتفرغه لكبرى النقاشات في تاريخ القرون الوسطى بأوروبا عن أصول الإقطاعية

١- المئذنة القديمة لجامع أشبيلية التي صارت برج الأجراس للكاتدرائية المسيحية التي بنيت على الجامع واحتفظت بالمئذنة والصحن.

٢- دار الشبيث هي مقر مدرسة الدراسات العربية والإسلامية في غرناطة.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وباكتراثه بتطور المؤسسات الأسبانية في العصر الوسيط وبتعطشه للاطلاع على المصادر العربية وتثمينها أعلى تثمين بسبب وفرتها بالمقارنة مع المصادر اللاتينية، فمن الممكن لنا تصور يأس سانشيث ألبورنوث حينما كان يقرأ فهارس أعداد مجلة «الأندلس» وهي عامرة بمقالات عن شعراء وعلماء وفقهاء وأمثال، وفارغة عن أخبار المؤرخين العرب التي بقيت هكذا خارج متناوله مع أنه كان يعتبرها أجدى مصدر تأريخي».

فارتباط اللغة العربية بتاريخ أسبانيا هو ارتباط عضوي وليس محصورا على حقبة الأندلس والممالك الإيبيرية الشمالية المسيحية فحسب، ولكن ربط تاريخ أسبانيا بالعربية مستمر عبر العصور وإلى الأبد لأن العربية عامل رئيسي من عوامل الهوية القومية الأسبانية بما تقدمه من معلومات عن كيفية تكون هذه الهوية القومية والدلالة على بعض عناصرها (مانثانو ٢٠٠٩: ص ٢١٤):

«أكبر مفارقة من تلك المفارقات [في بحوث وباحثي تاريخ اسبانيا أي شبه الجزيرة الإيبيرية] هي تحويل المستعربين إلى المؤرخين الوحيدين المكلفين بإلقاء الضوء على حقبة وحقب ما سمي بتاريخ أسبانيا والتي هي حقبة ليست بالقصيرة ولا بالهينة، دون تأطيرهم في الإطار الأكاديمي الخاص للمؤرخين عامة. ولقد ضمن لهم هذا الوضع وجودهم في أعمال بناء «التاريخ الوطني». قد تم قبول وجودهم أو على الأقل، قبول استفسارهم في أمور معينة لأن المستعربين كانوا الوحيدين الذين يتملكون معرفة وتأويل وتفهيم النصوص التي هي شاهد على أهمية تلك الحقبة».

ولقد تبنى المستعربون هذا الدور في التاريخ سواء كان الوسيط أو الحديث أو المعاصر، ونافسوا وما فتئوا ينافسون المؤرخين الآخرين، في كل ما يتعلق بالعربية والمصادر والشعوب والدول التي العربية أساس من أسس ماضيها وحاضرها. وواجه المستعربون وقاوموا، وما فتئوا يعملون ذلك إلى الآن بتفاوت في النجاح، كل من حاول سحبهم الحق في كتابة التاريخ الذي له علاقة، من جانب ومن آخر، بالعربية لغة أو ثقافة أو حضارة أو مجتمعا أو دينا. وقال الأستاذ أميليو غارثيا جوميث في هذا الأمر (غرثيا غومث عند منانديث بيدال ١٩٥٠: ص X):

«إنها وعكة حزينة ما تعاني منه كتابة تاريخ العصر الوسيط بوطننا في الوقت الراهن، ولكن معقولة إلى حد ما بسبب العوائق الخطيرة التي تكمن في تعلم فقه اللغة والاجتهاد

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

في معرفة الحضارة الشرقية. وينطبق القول أيضا على كتابة ذلك التاريخ في الخارج. وتلك الوعكة أن معظم كتاب التاريخ، ومنهم من هو فاضل ومن له تفوق وبراعة من الدرجة الأولى، يجهلون اللغة العربية. وبهذه العلة لا يقدرون على الاطلاع المباشر على المصادر المكتوبة بتلك اللغة التي هي وفيرة وثرية وأمينة.. وقد ثبت القول إن كتابة تاريخ عصرنا الوسيط لا تكتمل ولربما وقعت في الخطأ إلا بتمكن من اللغة العربية في درجة أكبر من المقبول إن لم تصل إلى الإجادة. والأغرب في الأمر أن كتاب التاريخ هؤلاء لا يعبؤون كثيرا بهذا الخلل بالرغم من بروزه، وإن عبؤوا به تهربوا من المسؤولية إزاءه ويحاولون إلقاءه على عاتق غيرهم. ولذلك يعتقدون ويلمحون إليه ويقولون: "إن المستعربين الأسبان فضلوا لعبة الانشغال، بنتيجة أحسن أو أسوء، بتلك التوافه الفلسفية والكلامية والفقهية والشعرية، ويهجرون التاريخ بعينه ولا يترجمون هذه الأخبار العربية أو تلك التي نحن في أمس الحاجة إليها والتي كان في إمكاننا من خلالها إقامة بنايات علمية عظيمة"[1]. ومن الغني عنه الإشارة إلى غرابة هذا الادعاء. فليس المستعرب مؤرخا بالضرورة ولا ترجمانا ولا مؤلف ترجمات لكي يأتي غيره ليستخدم مضامينها. إن للمستعربين الأسبان كراسي لدراسة اللغة العربية فُتحت على مصراعيها في جميع أنحاء العالم. ويمكن لمن يدرس فيها تطبيق معرفته للغة في الدراسات الفلسفية والأدبية وكذلك التاريخية. خارج هذه الكراسي لدراسة العربية له الحق، كما هو الأمر لغيره من اللغويين الذين لا يجابهون فرض أي سخرية عليهم، في ما يحبه ويرضاه من المواد العلمية. لقد تم إغلاق مدرسة مترجمي طليطلة. إذا كان مؤرخو القرون الوسطى في حاجة إلى اللغة العربية لأداء واجبهم بلا محالة فإنهم المطالبون بتعلم تلك اللغة ولا يعتمدون على جهد غيرهم. وسيأتي اليوم الذي يشهد بحدوث ذلك. ولكنه وفي المرحلة الحالية التي نعيشها، فإن كتابة تاريخ أسبانيا الإسلامية[2] لا يقدر عليها الذين يحترفون كتابة تاريخ العصر الوسيط لأنهم، حسب قولهم بأنفسهم ليسوا مستعربين، بل يقدر عليها من احترف الاستعراب وهو ليس مؤرخا بالضرورة حسب رأيه».

١- هذا كلام نيقولاس سانشيث البورنوث

٢- بالاسبانية «أسبانيا المسلمة» وهذه هي تسمية الأندلس اعتبارا من الأربعينات من القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري وقبل اكتشاف مصطلح الأندلس لتسمية الكيان العربي الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا في العصر الوسيط الأوروبي الذي هو العصر الذهبي في الحضارة العربية الإسلامية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وبهذه الفكرة وعلى يد غارثيا جوميث صار المستعربون الأسبان مؤرخي الأندلس ودارسي أدبها وشعرها ومؤسساتها والأفكار السائدة طيلة حياتها السياسية، ودارسي الحضارة العربية والإسلامية في جميع مناطقها وفي كل جوانبها ما عدا التحليل السياسي والاجتماعي للأنظمة والمجتمعات العربية والإسلامية إلا في حالات نادرة ومحدودة، فإن ذينك التحليلين السياسي والاجتماعي بقيا حكرا على خبراء العلوم السياسية الذين لم يهتموا كثيرا بالوطن العربي وبالأمة الإسلامية إلا في السنوات الأخيرة للقرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري وفي مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي/ الخامس عشر الهجري. فاعتبارا من الثمانينات من القرن العشرين الميلادي بعد الثورة الإيرانية وما ترتب عنها من تغيرات في العلاقات الدولية ظهر اهتمام المستعربين بأوضاع السياسة وأمور المجتمعات العربية والإسلامية العاصرة ولو من زاوية نظرية في غالب الأحيان.

وكان دور الريادة والرئاسة، في هذا التحول الأخير للمستعربين الأسبان إلى محللين سياسيين وباحثين في أنسنة المجتمعات العربية والإسلامية، للدكتور بيدرو مارتينيث منتافيث، أستاذ كرسي في الدراسات العربية والإسلامية في جامعة مدريد ذات الحكم الذاتي، والمتقاعد حاليا. فالدكتور منتافيث أول المستعربين الذي أطلع الأسبان على واقع الوطن العربي في الستينات من القرن العشرين الميلادي مشيرا إلى قوة الرابطة بين الثقافة العربية المعاصرة والأوضاع السياسية المحيطة بها داخل دائرة المفهوم الحضاري لهذه الأمور وليس للبعد السياسي فيها إلا لماما ولما له علاقة بتدخل القوى العظمى في العالم في سياسة المنطقة العربية بشطريها المغرب والمشرق، وبتركيز على هذا الأخير بسبب سيرته الذاتية بتلك الديار.

ومع إمامة الدكتور منتافيث قد تقدم إلى ساحة الدراسات العربية الإسلامية في أسبانيا جيل جديد من المستعربين خاضوا في تحليل الظروف السياسية والاجتماعية للدول العربية خاصة، والإسلامية عامة، بدون قطع الصلة بتراث الاستعراب في المواضيع الثقافية الحضارية. وكل هذا بفضل تمكنهم من اللغة العربية بشكل أعلى مما كان معروفا عند سابقيهم في الاستعراب، بسبب الرؤية المختلفة التي تناولوا بها تعلم اللغة العربية على أنها لغة تواصل وليست لغة تراث مثلما كان الأمر عند المستعربين قبل عودة الدكتور منتافيث من الشرق الأوسط، حاملا معرفة اللغة العربية بكفاية سمحت له ولتلاميذه متابعة النتاج الثقافي العربي الإسلامي المعاصر ونشر دراسات مفيدة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وحوله. ولجارثيا جوميث ولتلميذه المتفوق منتافيث يعود جميل الخدمة التي يقومها المستعربون للشعب الأسباني حينما يطلعونهم على كنوز الثقافة العربية والإسلامية المكتوبة بالعربية سواء جاءت من التراث أو كانت وليدة زمانها المعاصر. وتصور المواطنين الأسبان للأندلس، أي لماضيهم الإسلامي العربي، ولما يجرى قديما وحديثا في الحضارة العربية والإسلامية مدين في الدرجة الأولي لمؤلفات وكتب وآراء المستعربين. ويرى من ذلك أهمية دور المستعربين الجوهري في المجتمع الأسباني للتعريف بالثقافة العربية وبالعربية بين الأسبان وكل من هو ناطق باللغة الأسبانية للحصول على علم مفيد وصحيح، في نسبة عالية، مما أنتجه العرب والمسلمون الكاتبون باللغة العربية. وعلى إثر نفوذ المستعربين في الرأي العام الأسباني، يطالب الباحث أدواردو مانثانو المستعرين بالاكتراث بقضايا الوطن العربي الحالية مهما كان نوعها لصالح تلك القضايا ولإفادة المواطنين الأسبان بأخبار أمينة عنها (مانثانو ٢٠٠٩: ص ٢٢٧):

«وإن سبب هذا العوز [لتقريب الاستعراب من كتابة التاريخ العام وعلم الآثار والفنون الجميلة وإلى ما يحتاج إلى عون الاستعراب من علوم ودراسات وتحاليل] قائم على تكاثر المطالبات بأن يخرج علم المستعربين من المحافل الأكاديمية إلى المجتمع الذي يتساءل عن كثير من القضايا التي لم يجد لها جوابا شافيا، أو يتم جوابها من طرف من يريد أن يميل بالمجتمع ميلا انطلاقا من مصالحه الخاصة بأشد الخصوصية أو من الجهل المطبق إلى أرفع درجة».

ومن ذا تدرك أهمية اللغة العربية في أسبانيا والحاجة الملحة في تعليمها وتعلمها عند الأسبان ومناسبة عونهم في ذلك، ببعثهم إلى البلدان العربية لتحسين لغتهم العربية، ودعم الأقسام الجامعية والمؤسسات الأكاديمية التي تسعى إلى تعليم اللغة العربية في أسبانيا وعند الناطقين باللغة الأسبانية. ويتعلق بدعم دارسي اللغة العربية ومتعلميها والهيئات التي تهتم بتعليمها، أمر مهم وهو أن المستعربين يحتاجون إلى تكوين في اللغة العربية والتكوين في الحضارة العربية الإسلامية خارج إطار الاستشراق والاستعراب، لتأمين صحة فهم النصوص العربية على حقيقتها وليس على ظنون القاصرين عن إدراك المقصود بها ولذلك من أجل تعارف ملائم بين الشعوب العربية والإسلامية وغيرها من الشعوب.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تعليم العربية في أسبانيا

– في أسبانيا يتم تعليم اللغة العربية في الجامعات وفي المعاهد الرسمية للغات فضلا عن المعاهد الخاصة. ويتم تعليم اللغة العربية في الجامعات إما في إطار الإجازات الخاصة بالعربية والدراسات العربية والإسلامية، وإما في مواد إضافية لدراسات وإجازات أخرى. وهذا ما تلي الإشارة إليه في هذا الفصل. ولم تحضر هنا المواد التعليمية والكتب المقرر دراستها في تعليم اللغة العربية لكثرتها وضيق المجال لعرضها وشرحها وتحليلها لأنها مسألة تحتاج إلى توفير المكان والمقال. ومن جانب آخر ففي بعض الجامعات معاهد خاصة لتعليم اللغات المعاصرة ومن بينها اللغة العربية، ولتلك المعاهد برامج خاصة لكل لغة تسعى إلى تعليمها لأغراض تواصلية على خلاف ما يحدث مع دراسة اللغات الأجنبية في الإجازات الجامعية التي تخضع أكثر للرؤية الثقافية واللغوية والتاريخية لها، ما عدا الإجازات في الترجمة. فدراسة لغة ما في معاهد اللغات في الجامعات تعتبر دراسة تكميلية لدراسة اللغات نفسها في الإجازات الجامعية المقابلة.

الجامعات

الإجازات الجامعية التي ترتكز على اللغة العربية			
عدد الساعات المعتمدة حسب النقاط (لكل نقطة ٥،٧ ساعات من الدروس)	عدد المقاعد المعروضة للطلاب	الإجازات	الجامعة
٦٠	٤٥	ماجستير في الدراسات العربية والإسلامية المعاصرة	جامعة مدريد ذات الحكم الذاتي
٢٤٠	٣٠ (العربية) ٣٠ (الصينية) ٣٥ (اليابانية)	إجازة في الدراسات الآسيوية والأفريقية: العربية والصينية واليابانية	

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

جامعة مدريد "كومبلوتنسي"	الدراسات السامية والإسلامية	٣٥	٢٤٠
	إجازة في اللغات المعاصرة وآدابها*	٢٥٠*	٢٤٠
جامعة أليكانت	إجازة في الدراسات العربية والإسلامية	٥٠	٢٤٠
جامعة برشلونة المركزية	إجازة في الدراسات العربية والعبرية	–	٢٤٠
جامعة قادش	إجازة في الدراسات العربية والإسلامية	–	٢٤٠
جامعة غرناطة	إجازة في الدراسات العربية والإسلامية	٥٠	٢٤٠
	إجازة في اللغات المعاصرة وآدابها*	٧٠	٢٤٠
جامعة سلمنقة	إجازة في الدراسات العربية والإسلامية	٥٠	٢٤٠
جامعة أشبيلية	إجازة في الدراسات العربية والإسلامية	٥٠	٢٤٠

*إن هذه الإجازة قائمة على نظامين: الأكبر والأصغر. وإن النظام الأكبر هو للغة الأولى وأدبها والنظام الأصغر للغة الثانية وأدبها.

يجب على الطلبة في إجازة اللغات المعاصرة وآدابها التسجيل في المواد التالية:

النظام الأكبر: اللغة ١ (الشوط الأول من السنة الدراسية) واللغة ٢ (الشوط الثاني)

النظام الأصغر: اللغة ١ (الشوط الأول من السنة الدراسية) واللغة ٢ (الشوط الثاني)

لغات النظام الأكبر: الألمانية والعربية والفرنسية والإيطالية والبولندية والروسية

لغات النظام الأصغر: الألمانية والعربية والبلغارية والأسبانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والبولندية والبرتغالية ولغات لاتينية أخرى والروسية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الإجازات التي تحتوي على دراسة اللغة العربية على أنها مادة إضافية فيها		
المواد التي العربية قسط منها	الإجازات	الجامعة
اللغة الأجنبية الأولى، اللغة الأجنبية الثانية	إجازة في الدراسات الأسبانية: اللغة الأسبانية وآدابها	جامعة مدريد ذات الحكم الذاتي
اللغة الأجنبية الأولى، اللغة الأجنبية الثانية	إجازة في الدراسات الإنجليزية	
اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج١، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٢، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٣، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٤، الترجمة العامة في اللغة الأجنبية الثانية ج١، الترجمة العامة في اللغة الأجنبية الثانية ج٢، تقوية اللغة الأجنبية الثانية ج١، اللغة الأجنبية الثانية ج٢، الترجمة المتخصصة في اللغة الأجنبية الثانية	إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية (اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية- اللغة ج)	
اللغة الأجنبية الثانية ١ اللغة الأجنبية الثانية ٢ اللغة الأجنبية الثانية ٣ اللغة الأجنبية الثانية ٤ اللغة الأجنبية الثانية ٥ اللغة الأجنبية الثانية ٦	إجازة في اللغات المعاصرة والثقافة والتواصل	

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

جامعة قرطبة

إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية

(اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية- اللغة ج)

اللغة الأجنبية الثانية ج١، اللغة الأجنبية الثانية ج٢، اللغة الأجنبية الثانية ج٣، اللغة الأجنبية الثانية ج٤، الترجمة العامة في اللغة الأجنبية الثانية ج، الترجمة في الصحافة باللغة الأجنبية الثانية ج، ثقافة وحضارة اللغة الأجنبية الثانية ج، الترجمة العلمية والتقنية باللغة الأجنبية الثانية ج، الترجمة القانونية والأقتصادية باللغة الأجنبية الثانية ج، الترجمة الأدبية باللغة الأجنبية الثانية ج

<table>
<tr><td>اللغة العربية ١، اللغة العربية ٢</td><td>إجازة في اللغة الأسبانية: اللغة والأدب</td><td rowspan="5">جامعة مدريد "كومبلوتنسي"</td></tr>
<tr><td>اللغة العربية ١، اللغة العربية ٢</td><td>إجازة في فقه اللغات الكلاسيكية (اللاتينية والإغريقية)</td></tr>
<tr><td>اللغة العربية ١، اللغة العربية ٢، اللغة العربية ٣، اللغة العربية ٤</td><td>إجازة في الدراسات الإنجليزية</td></tr>
<tr><td>اللغة العربية ١، اللغة العربية ٢، اللغة العربية ٣، اللغة العربية ٤، وصف اللغة العربية، الصحافة العربية ونصوص الفكر العربي</td><td>إجازة في اللسانيات وتطبيق اللغات</td></tr>
<tr><td>اللغة العربية ١، اللغة العربية ٢، اللغة العربية ٣، اللغة العربية ٤، المدخل إلى اللغة العربية المعاصرة</td><td>إجازة في الأدب العام والمقارن</td></tr>
</table>

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج١، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٢، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٣، اللغة الأجنبية الثانية وحضارتها ج٤، الترجمة العامة في اللغة الأجنبية الثانية ج١، الترجمة العامة في اللغة الأجنبية الثانية ج٢، اللغة الأجنبية الثالثة د أو تقوية اللغة الأجنبية الأولى ب أو اللغة الأجنبة الثانيية ج١، اللغة الأجنبية الثالثة د أو تقوية اللغة الأجنبية الأولى ب أو تقوية اللغة الأجنبة الثانية، الترجمة المتخصصة في اللغة الأجنبية الثانية	إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية (اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية– اللغة ج)	جامعة مدريد «كومبلوتنسي»

أ. جامعة مرسية

إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية

(اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية– اللغة ج)

اللغة الأجنبية الثانية ج١، اللغة الأجنبية الثانية ج٢، اللغة الأجنبية الثانية ج٣، اللغة الأجنبية الثانية ج٤، اللغة الأجنبية الثانية ج٥، الترجمة العامة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الثانية ج ١، الترجمة المتخصصة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الثانية ج ١، الترجمة العامة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الثانية ج ٢

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

<table>
<tr><td>اللغة الأجنبية الثالثة د١، اللغة الأجنبية الثالثة د٢، اللغة الأجنبية الثالثة د٣</td><td>إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية (اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية- اللغة د)</td><td rowspan="5">جامعة أليكنت</td></tr>
<tr><td rowspan="4">اللغة العربية ١، الأدب العربي القديم، اللغة العربية ٢، الأدب العربي المعاصر</td><td>إجازة في الدراسات الفرنسية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراست الكاطلانية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الإنجليزية</td></tr>
<tr><td>إجازة في اللغة الأسبانية: اللغة والأدب</td></tr>
<tr><td rowspan="9">اللغة الأجنبية الثانية ج١، اللغة الأجنبية الثانية ج٢، اللغة الأجنبية الثانية ج٣،
اللغة الأجنبية الثانية ج٤

اللغات الممكن اختيارها:
الألمانية والعربية والكاطلانية والجليقية والباسكية والكورية والفرنسية واليونانية المعاصرة والإغريقية القديمة واللاتينية واللغات الهندو-إيرانية والإنجليزية والإيطالية واليابانية، والبرتغالية والهولندية والروسية</td><td>إجازة في الدراسات العبرية والأرامية</td><td rowspan="9">جامعة سالامنكا</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الألمانية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الكلاسيكية (اللاتينية والإغريقية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الفرنسية</td></tr>
<tr><td>إجازة في فقه اللغة الأسبانية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الإنجليزية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات الإيطالية</td></tr>
<tr><td>إجازة في الدراسات البرتغالية والبرازيلية</td></tr>
<tr><td>إجازة في اللغات اللاتينية وآدابها وثقافاتها</td></tr>
</table>

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

<table dir="rtl">
<tr>
<td rowspan="3">اللغة الأجنبية المعاصرة ١
اللغة الأجنبية المعاصرة ٢
اللغات الأجنبية المعاصرة:
الألمانية والعربية والفرنسية
والإنجليزية والإيطالية</td>
<td>إجازة في فقه اللغات الكلاسيكية
(اللاتينية والإغريقية)</td>
<td rowspan="4">جامعة مالقة</td>
</tr>
<tr>
<td>إجازة في الدراسات الإنجليزية</td>
</tr>
<tr>
<td>إجازة في اللغة الأسبانية</td>
</tr>
<tr>
<td>اللغة الأجنبية الثانية ج ١ وثقافتها،
اللغة الأجنبية الثانية ج٢ وثقافتها،
اللغة الأجنبية الثانية ج٣ وثقافتها،
الترجمة العامة بين اللغة الأم أ
وبين اللغة الأجنبية الثانية ج ١،
الترجمة العامة بين اللغة الأم أ وبين
اللغة الأجنبية الثانية ج ٢، الترجمة
المتخصصة بين اللغة الأم أ وبين
اللغة الأجنبية الثانية ج ١، الترجمة
المتخصصة بين اللغة الأم أ وبين اللغة
الأجنبية الثانية ج ٢، الترجمة الشهافية
في التواصل، بين اللغة الأم أ وبين
اللغة الأجنبية الثانية ج</td>
<td>إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية
(اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية-
اللغة ج)</td>
</tr>
</table>

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة العربية بصفتها اللغة الأجنبية الأولى ب اللغة الأجنبية الأولى ب ١، اللغة الأجنبية الأولى ب ٢، اللغة الأجنبية الأولى ب ٣، اللغة الأجنبية الأولى ب ٤، الترجمة في اللغة الأجنبية الأولى ب ١، الترجمة في اللغة الأجنبية الأولى ب ٢، الترجمة المتخصصة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى ب ١، الترجمة المتخصصة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى ب ٢، الترجمة في مختلف الأجهزة، الترجمة الشهافية بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى ب ١، الترجمة الشفاهية بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى ب ٢	إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية (اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية أولى ب ولغة أجنبية ثانية- اللغة ج)	جامعة غرناطة
اللغة العربية بصفتها اللغة الأجنبية الأولى ب اللغة الأجنبية الثانية ج ١، اللغة الأجنبية الثانية ج ٢، اللغة الأجنبية الثانية ج ٣، اللغة الأجنبية الثانية ج ٤، اللغة الأجنبية الثانية ج ٥، اللغة الأجنبية الثانية ج ٦، الترجمة باللغة الأجنبية الثانية ج ١، الترجمة باللغة الأجنبية الثانية ج ٢، الترجمة باللغة الأجنبية الثانية ج ٣، المدخل إلى الترجمة الشفهية في المصالح الحكومية بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى أو الثانية ج، المدخل إلى الترجمة الشفهية في التجارة والسياحة بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى أو الثانية ج، الترجمة العلمية والتقنية بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى أو الثانية ج، ترجمة النصوص الثقافية وفي العلوم الاجتماعية والقانونية بين اللغة الأم أ واللغة الأجنبية الأولى أو الثانية ج		

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة الأجنبية الثانية ج للمترجمين في الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية ١، اللغة الأجنبية الثانية ج للمترجمين في الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية ٢، اللغة الأجنبية الثانية ج ١ والترجمة، اللغة الأجنبية الثانية ج ٢ والترجمة، اللغة الأجنبية الثانية ج ٣ والترجمة، اللغة الأجنبية الثانية ج ٤ والترجمة، اللغة الأجنبية الثانية ج ٥ والترجمة، اللغة الأجنبية الثانية ج ٦ والترجمة، أسس الوساطة بين الثقافات في الترجمة التحريرية والترجمة الشفهية	إجازة في الترجمة التحريرية والشفهية (اللغة العربية بصفتها لغة أجنبية ثانية- اللغة ج)	جامعة برشلونة ذات الحكم الذاتي

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ب. المعاهد الرسمية للغات

إن المعاهد الرسمية للغات هي مؤسسات حكومية متواجدة في أكبر مدن الدولة الأسبانية من أجل توفير إمكانية تعليم وتعلم أهم اللغات المعاصرة لكل من يرغب في ذلك، بغض النظر عن مستواه العلمي والثقافي والتربوي وعن سنه. وقد تم إنشاء المعاهد الرسمية للغات لتلبية الطلب المتزايد في معرفة اللغات الأجنبية في سوق السياحة الأسبانية التي هي من أكبر الأسواق السياحية في العالم منذ الستينات من القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري. واللغة العربية من ضمن اللغات المقرر دراستها في هذه المعاهد الرسمية ولكن ليس في كل المعاهد بل البعض منها فحسب وهي التي نوردها هنا.

قائمة المعاهد الرسمية للغات التي تقدم تعليم اللغة العربية
المعهد الرسمي للغات في أليكانت
المعهد الرسمي للغات في ألمرية
المعهد الرسمي للغات في برشلونة
المعهد الرسمي للغات في قرطاجنة
المعهد الرسمي للغات في كاستيون
المعهد الرسمي للغات في سبتة
المعهد الرسمي للغات في أل أخيدو (ألمرية)
المعهد الرسمي للغات في جيرونا
المعهد الرسمي للغات في غرناطة
المعهد الرسمي للغات في لا كورونيا
المعهد الرسمي للغات في ليريدا

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

المعهد الرسمي للغات في مدريد
المعهد الرسمي للغات في مربيبا (مالقة)
المعهد الرسمي للغات في مالقة
المعهد الرسمي للغات في مليلية
المعهد الرسمي للغات في مرسية
المعهد الرسمي للغات في بالما دي ميورقة
المعهد الرسمي للغات في بامبلونا
المعهد الرسمي للغات في سانتا كروث دي تينيريفي (جزر الكاناري)
المعهد الرسمي للغات في طاراجونا
المعهد الرسمي للغات في بلنسية
المعهد الرسمي للغات في بيليث-مالقة (مالقة)

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التداخل بين اللغتين
العربية والإسبانية

د. إغناثيو فيراندو فروتوس
جامعة قادس

من المعلوم أن اللغة العربية كان لها حضور في شبه الجزيرة الإيبيرية خلال مدة زمنية طويلة قاربت الثمانية قرون، منذ بداية وصول المسلمين إلى جنوب إسبانيا على يد القائد العسكري طارق بن زياد بأمر من والي إفريقية حينذاك، موسى بن نصير، وذلك في عام ٧١١م/ ٩٢هـ، إلى حين سقوط مدينة غرناطة، آخر معاقل الإسلام في الأندلس، بيد الملكين الكاثوليكيين فرناندو الثاني الأراغوني وإيزابيلا الأولى القشتالية، في الثاني من يناير عام ١٤٩٢م/ فاتح ربيع الأول ٨٩٧هـ.[١]

إلا أن اللغة العربية لم تختف عن المشهد الجغرافي الإيبيري بمجرد سقوط السلطة

١- انظر من بين مراجع أخرى «تاريخ المغرب والأندلس»، حسين مؤنس، دار المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠ و»فجر الأندلس»، حسين مؤنس، العصر الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢، و»التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة»، عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق-بيروت، ١٩٨١، الطبعة الثانية. ومن بين آخر ما نُشر في هذا الموضوع المهم نخص بالذكر كتاب الأستاذ الإسباني أليخاندرو غارسيا سان خوان: «الفتح الإسلامي للجزيرة الإيبيرية وتحريف الماضي»، أليخاندرو غارسيا سان خوان، دار نشر»مارسيال بونس»، مدريد، ٢٠١٣ (باللغة الإسبانية)، حيث يراجع المؤلف من منظور حيادي كل ما ظهر من نقاط الجدل حول فتح الأندلس لدى المؤرخين العرب والإسبان على حد سواء.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

السياسية بأيدي النصارى إثر تقدم جيوشهم فيما بات يسمى في أوساط المؤرخين الإسبان والغربيين عموما باسم «إعادة الفتح» أو «معارك الاسترداد»،[1] بل ظلت لغة حية تستعمل لأغراض مختلفة بعد سيطرة النصارى على الكثير من المناطق الإسبانية، منها على سبيل المثال، لا الحصر:

منطقة الشمال الغربي من الأندلس، أيْ ما كان يعرف في المصادر العربية باسم «الثغر الأعلى»، وهي المنطقة التي يطلق عليها في أيامنا هذه اسم «أراغون». يذكر كل المؤرخين أن عددا كبيرا من المسلمين كانوا لايزالون يسكنون هذه المنطقة بعد سقوط أهم مدنها في أيدي النصارى وعلى رأسها العاصمة سرقسطة، التي احتلها الملك ألفونسو الأول المعروف بلقب المحارب عام ١١١٨م/ ٥١٢ه، وبقوا هناك مدة طويلة حتى عام ١٦١٠م، حيث تم طردهم نهائيا على يد الملك الإسباني فليب الثالث. صحيح أن أغلب المعلومات المتوفرة لدينا تدل على أن هؤلاء المسلمين فقدوا اللغة العربية بالتدريج كلغة التواصل والمخاطبة فيما بينهم، وخصوصا في القرون الأخيرة من بقائهم على أرض إسبانيا، واندمجوا لغوياً مع المجتمع المسيحي المحلي الذي كان يتكلم الإسبانية القديمة الخاصة بمنطقة أراغون، إلى درجة أنهم اضطروا، من أجل الحفاظ على التقاليد وممارسة الطقوس والفرائض الإسلامية، إلى ترجمة القرآن الكريم والحديث النبوي والكتب الفقهية إلى اللغة الإسبانية الأراغونية، ولكنهم استخدموا الحروف العربية، فيما بات يسمى بين الباحثين نصوص "الأعجمية" (أو"الخاميا" بالإسبانية). ومع كل ذلك، فإنهم كانوا لا يزالون يحتفظون في مكتباتهم بعدد كبير من الكتب العربية ولو بشكل سري، خصوصاً بعد أن حرمت السلطات المسيحية

١ – لقد أثار هذان المصطلحان جدلاً كبيراًلدى علماء التاريخ، فمنهم من يرى أن هذه الحروب ترجع إلى مشروع متعمد يهدف إلى استرداد الأراضي الإسبانية التي سُلبت عن النصارى بغير حق، وهؤلاء هم مؤرخو المدرسة الوطنية الإسبانية التي انطلقت من آراء ف. سيمونيت في كتابه الشهير «تاريخ مستعربي إسبانيا»، فرانسيسكو خافيير سيمونيت، دار نشر»أرملة تييو وأولاده»، مدريد، ١٨٩٧ (باللغة الإسبانية)، ومنهم من يرى غير ذلك، أي أن ظاهرة حروب الاسترداد لم ترجع إلى دوافع سياسية ودينية بحتة، وأن أوائل من حاربوا الدولة الإسلامية الأندلسية في شمال إسبانيا لم يكونوا تحت سيطرة المسلمين أبدا، استنادا إلى أعمال باربيرو وفيخيل: «حول الأصول الاجتماعية لإعادة الفتح»، الناشر»آرييل»، برشلونة، 1984 (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

استعمال العربية قراءة وكتابة ومحادثة. وتشمل هذه المكتبات، بالإضافة إلى الكتب الدينية التي كانت تشكل القسم الأكبر منها، أنواعاً مختلفة من مؤلفات أدبية وحتى مجموعات من الأشعار، ولعل أبرز ما وجدت في هذه المكتبات مخطوطة تعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي تتضمن "حديث ذي القرنين" وهو قصة شعبية تحكي عجائب حياة الإسكندر الأكبر ذي القرنين، البطل اليوناني المعروف، واللافت للنظر أنها مكتوبة بلغة متوسطة تمزج بين العربية الفصحى وبين عامية أهل الأندلس.[١] ويدل هذا على رواج الحكايات العربية الشعبية لدى هؤلاء المسلمين وعلى سعيهم إلى حفظها ونقلها للأجيال اللاحقة، بغض النظر عما كانوا يعانوه من ضغط متزايد من السلطات المسيحية. إضافة إلى هذا، لا بد أن نذكر أن المسلمين الأراغونيين كانوا لايزالون يكتبون بعض الوثائق الرسمية باللغة العربية من أجل إثبات عقود البيع والشراء والقرض والإيجار والمقايضة وما إلى ذلك، فقد وصلت إلينا مجموعة من هذه الوثائق التي تمتد فترة تحريرها من القرن الثاني عشر الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر،[٢] مما يوحي بأن اللغة العربية لم تختف تماما عن الوجود في الأراضي الأراغونية لمدة تزيد على أربعة قرون بعد سيطرة النصارى عليها.

منطقة شرق الجزيرة، أيْ مدينة بلنسية وإقليمها، من المعلوم أنها كانت من أكثر المناطق الإسبانية من حيث عدد المسلمين الباقين فيها ولمدة أطول بعد حروب الاسترداد. وبعد سقوط العاصمة بلنسية سنة ١٢٣٨ م.[٣] تشير المصادر إلى أن بعض القرى الجبلية والريفية النائية كانت لا تزال تنطق بعربية الأندلس حتى القرن السابع عشر الميلادي،بالرغم من سعي محاكم التفتيش الإسبانية الشديد إلى ملاحقة المسلمين وإجبارهم على هجر اللغة

١- حقق هذه المخطوطة المستشرق الإسباني غارسيا غومس بعنوان «نص عربي غربي لأسطورة ألكسندر الأكبر»، إميليو غارسيا غومس،معهد بلنسية دون خوان، مدريد، ١٩٢٩ (باللغة الإسبانية).

٢- انظر في هذا الموضوع المقالة التي نشرناها في مجلة دراسات علم اللهجات الأندلسية والمغربية بعنوان «العربية الأندلسية في أراغون. مصادرها وسبل مقاربتها»، مجلة دراسات علم اللهجات الأندلسية والمغربية (EDNA)، ٣، ١٩٩٨، ص. ٣٥-٥٩.

٣- انظر كتاب الأستاذة كارمين برشلو الذي يحتوي على دراسة عميقة للنصوص العربية المكتوبة في هذه المنطقة حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي: «الأقليات المسلمة في إقليم بلنسية. تاريخا ولهجة»، كارمين برشيلو، مطبعة جامعة بلنسية، بلنسية، ١٩٨٤.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

العربية واعتناق المسيحية. فهناك الكثير من المصادر التاريخية التي تشير إلى أنّ مسلمي بلنسية وإقليمها كانوا متشبثين بلغتهم العربية في التواصل اليومي بينهم، وإلى أنهم بذلوا جهودا جهيدة لإخفاء عروبة لسانهم أمام النصارى للحيلولة دون فرض عقوبات عليهم وحتى تعرضهم لخطر الإعدام. لقد جمعت الأستاذة كارمين برشلو في الكتاب المذكور أعلاه وفي غيره من الكتب والمقالات العلمية العديد من الوثائق التاريخية التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك انتشار العربية في إقليم بلنسية إلى جانب بعض النصوص العربية المكتوبة أو المنقوشة. وخلافاً لإخوانهم في أراغون، يبدو أن مسلمي بلنسية لم يرتقوا إلى مستوى ثقافي يسمح لهم بالاطلاع على كتب الأدب العربي، إذ أنه لا توجد من بين ما وصل إلينا من وثائقهم وآثارهم نصوص أدبية ولا أشعار.

منطقة غرناطة، التي تعتبر رمزاً حقيقياً لبقاء العربية في إسبانيا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وهي آخر معقل للإسلام الأندلسي. من المعلوم أن الملكة إيزابيلا تعهدت فور تسلم مدينة غرناطة سنة ١٤٩٢ م. باحترام المسلمين وديانتهم والسماح لهم بالبقاء في غرناطة والتمتع بعيش كريم. إلا أن الملكة سرعان ما نكثت بوعودها للمسلمين وقلبت لهم ظهر المجن، فلم تمض سوى بضع سنين حتى غيرت الملكة موقفها تجاه المسلمين وبدأت تعاملهم معاملة سوء، وأجبرتهم في نهاية المطاف على اعتناق المسيحية. ونتيجة لذلك، شهدت هذه المنطقة نشاطاً مكثفاً لتنصير المسلمين الباقين في مدينة غرناطة ومحيطها، مما جعل عدداً من رجال الدين الإسبان والرهبان يتعلمون العربية، من أجل نشر مفاهيم المسيحية وطقوسها بين المسلمين، ومن أجل تنصيرهم وتثقيفهم ومحو آثار الحضارة العربية والإسلامية. وإلى جانب هؤلاء المبشرين ظهرت مجموعة من المترجمين الذين اضطلعوا بدور الوسطاء بين الناطقين بالعربية والناطقين بالإسبانية، ومن بينهم مسلمون كانوا قد تنصروا وانضموا إلى صفوف الكنيسة المسيحية. في هذا السياق انطلقت دراسة اللغة العربية وتأليف بعض القواميس وكتب القواعد الهادفة إلى معرفة عربية غرناطة. وبرزت من بين هؤلاء المبشرين والمترجمين شخصية ألونسو دل كاستيو، الذي كان مسيحيّ النشأة لأنّ والده المسلم أُجبر على اعتناق المسيحية. وبفضل تمكنه من العربية واللاتينية والإسبانية عمل مترجماً محلفاً في ديوان الملوك الإسبان وتعاون مع محاكم التفتيش، وقد دفعته ثقافته العربية ونزوعه إلى اللغة العربية إلى جمع الأمثال الشعبية الأندلسية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

في كتاب ألفه في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي. ونظراً إلى أن العربية كانت لغة محظورة حينذاك وكان كل من سولت له نفسه أن ينبس ببنت شفة بها متهماً ومخالفاً لمساعي محاكم التفتيش الهادفة لمحو الإسلام ونشر المسيحية، فإن ألونسو دل كاستيو فضل عدم نشر كتابه الذي يعد دليلاً قاطعاً على تمسك الأندلسيين بلغتهم العربية وبثقافتهم الشعبية الغنية جداً في ظروف صعبة للغاية. ويتضح لكل من يقرأ هذه الأمثال الشعبية التي يتجاوز عددها ١٦٠٠ مثل والتي تفضل بتحقيقها ودراستها وترجمتها إلى الإسبانية الأستاذان الجليلان كورينطي وبوزينب[١] أن اللغة العربية المحكية في آخر عصور الأندلس شكلت وعاء جميلا يحتضن ثقافة متميزة، وأن تأثرها نوعاً ما باللغة الإسبانية التي اقترضت منها عدداً من الألفاظ والتعابير والمفاهيم لا يعني بتاتاً تجريدها من أصالتها العميقة وثروتها المعجمية وحيويتها الفريدة. ولعل هذه الأمثال خير دليل على التعايش والتداخل بين اللغتين، حتى وإن لم تسمح الظروف بنشرها وشيوعها عند الناس.

المنطقة المركزية وعلى وجه الخصوص مدينة طليطلة ومحيطها، التي سكنتها خلال العهد الإسلامي جماعة من المسيحيين أطلق عليهم اسم «المستعربين» (باللغة الإسبانية los mozárabes) لأنهم احتفظوا بالديانة المسيحية ولكنهم تعربوا لغويا وثقافيا واستعملوا اللغة العربية، شأنهم في ذلك شأن سائر سكان طليطلة من المسلمين واليهود. واللافت للنظر أنهم بعد سقوط مدينة طليطلة في أيدي الملك الإسباني ألفونسو السادس في ٢٥ مايو من عام ١٠٨٥ م. (٢٧ محرم ٤٧٨ ه.) كانوا لا يزالون يستعملون اللغة العربية، وذلك لمدة قرنين كاملين من الزمان وفي سياق سياسي وحضاري يختلف عن السياق الأندلسي والجو الإسلامي السابق اختلافاً جوهرياً، والبرهان القاطع على احتفاظهم بالعربية هو وجود عدد كبير من الوثائق يقارب ألفين ومائتي وثيقة مخصصة لأغراض شتى، كعقود البيع والشراء والهبات والقروض وعقود الإيجار والنكاح والوصاية وهلم جرا[٢]. هذه الوثائق المحررة باللغة العربية تشير إلى بقاء العربية لغة رسمية ولو لجزء يسير

١- «الأمثال الشعبية لألونسو دل كاستيو»، ف. كورينطي وح. بوزينب، مطبعة جامعة سرقسطة، سرقسطة، ١٩٩٤ (باللغة الإسبانية).

٢- تعود الوثيقة الأولى إلى عام ١٠٨٣ قبيل وصول الجيش النصراني إلى المدينة، في حين أن الوثيقة

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

من سكان مدينة طليطلة التي شهدت وفود عدد كبير من المسيحيين الآتين من الشمال، والتي تحولت إلى مركز ثقافي متميز وجسر حقيقي بين الثقافتين العربية والإسبانية بفضل أعمال الترجمة التي تطورت فيها بشكل كبير. وإذا ما تساءلنا عن أسباب احتفاظ المستعربين باللغة العربية لتحرير العقود الرسمية، فيجب علينا أن نميز المرحلة الأولى التي اعتبرت فيها العربية الخيار الوحيد، نظراً إلى أن اللغة الإسبانية لم تكن قد ارتقت بعد إلى منزلة اللغات الرصينة الناضجة وإلى أن اللغة اللاتينية كانت في وضع متدهور بسبب نزعة المستعربين إلى اللغة العربية، أما المرحلة الثانية، أي، القرن الثالث عشر، بعد أن أصبحت اللغة الإسبانية لغة معترفا بها لكتابة النصوص الرسمية والأدب، فهناك سبب آخر للعزوف عنها وهو أن تحرير العقود بالعربية مكن المستعربين من تمييز أنفسهم عن الجماعات المسيحية الأخرى الوافدة من الشمال التي لم تعرف اللغة والثقافة العربيتين، خصوصاً وأن الملك ألفونسو السادس منح جماعة المستعربين امتيازات ضريبية وفي هذا الصدد اعتبرت اللغة العربية رمزاً وشعاراً لهم تجاه الآخرين. وفيما يخص نوع اللغة العربية التي حررت بها الوثائق، فهي لغة عربية فصيحة تتخللها من الفينة إلى الأخرى اللهجة الأندلسية الدارجة، وفقا للدراسات اللسانية الدقيقة المنشورة في هذا الموضوع.[١] وبالإضافة إلى ذلك، تتضمن نصوص المستعربين مجموعة من الألفاظ الإسبانية الأصل التي يزداد عددها مع مرور الزمن، دون أن تزيد نسبتها في أي حال من الأحوال عن ٧٪ من إجمالي الكلمات. ويعد هذا مثالا لتداخل لغتين لا يخرج عن المألوف إذ إنه من الطبيعي في مثل هذه الحالات من التعايش والتماسّ أن تأخذ اللغة الأولى من الثانية والثانية من الأولى في عملية التأثير والتأثر اللغوي المعتاد.

يتضح من كل ما سبق ذكره أن التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية لم يقتصر على العهد الأندلسي، بل إنه امتد إلى ما بعد ذلك وصولاً إلى القرن السابع عشر

الأخيرة كتبت عام ١٣٠٣. انظر «اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين»، إغناثيو فيراندو، مجلة المعهد المصري للدراسات الأندلسية في مدريد، ٣٠، سلسلة مدن الأندلس: طليطلة، ١٩٩٨، ص. ١٦١-١٧٠.

١- انظر دراستنا بعنوان «اللهجة العربية الأندلسية في الثغر الأوسط. وثائق مستعربي طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين»، إغناثيو فيراندو، مطبعة جامعة سرقسطة، سرقسطة، ١٩٩٥ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الميلادي. وقبل أن نتطرق إلى دراسة أشكال هذا التداخل وآثاره في كل من اللغة العربية والإسبانية، لا بد لنا من العودة إلى طبيعة اللغة العربية التي وصلت إلى الجزيرة الإيبيرية وتطورها في مراحل الكيان الأندلسي التاريخية من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى طبيعة اللغة الإسبانية التي عاشت إلى جانب العربية خلال هذه القرون الطوال. استناداً إلى آراء الأستاذ كورينطي وهو من كبار المتخصصين في لغة أهل الأندلس على المستوى العالمي[1]، يمكن القول إن اللغة العربية التي وصلت إلى أراضي الجزيرة الإيبيرية لها مستويان أولهما اللغة الشعبية العامية المتأثرة باللغة الأمازيغية، والتي تحولت بمرور الزمان لتشكل ما يعرف باسم عربية أهل الأندلس، وثانيهما اللغة العربية الفصحى الرسمية الحاملة لرسالة الإسلام والثقافة العربية الشرقية. أما اللغة الإسبانية، فلم تكن في تلك الحقبة من الزمان قد وصلت إلى مرحلة النضج، وإلى جانب اللغة اللاتينية الرسمية التي كان وضعها قد تدهور بشكل كبير وسلكت طريق النسيان، ظهرت في شبه الجزيرة الأيبيرية مجموعة من اللهجات العامية الإسبانية أو الرومانسية المختلفة التي كانت تفتقر إلى المزيد من الغنى المعجمي والتطور الداخلي لتتحول إلى لغات قادرة بحد ذاتها على مواكبة التقدم المعرفي والتعبير عن الأفكار الجديدة والمفاهيم المتطورة. في هذا السياق، يقول الأستاذ كورينطي: «فلم يلبث أن بدأ نطاق استعمال اللغة العربية يتسع لدى جميع طبقات المجتمع الأندلسي حتى الفلاحين في أريافهم والرعاة في جبالهم والصناع والعبيد في أسواقهم، في حين أن العجمية (اسم أطلق على الإسبانية أو الرومانسية في المصادر العربية) كلغة مغلوبة في المنافسة الاجتماعية كانت تفتقر إلى مفردات وتراكيب اضطرت لاستعارتها من اللغة العربية الغالبة، لكي تسد ثلماً وتقوم مقام كلماتها وقواعدها الأصلية، فأدى ذلك أولا إلى نشوء لغة مختلطة انعكست في خرجات الموشحات المشهورة، ثم إلى تقلص العجمية وانقراضها في القرن السادس

١- انظر البحثين اللذين ألفهما في هذا الموضوع: ١. «العلاقات اللغوية والأدبية بين الأندلس وسائر الدول في شبه الجزيرة الإيبيرية»، فيديريكو كورينطي، مجلة دراسات مغاربية، ١٤، ٢٠٠١، ص. ٣-١٨. ٢. «العنصر العربي في التاريخ اللغوي للجزيرة الإيبيرية. الألفاظ العربية الأصل في اللغات الرومانسية، خصوصاً في القشتالية»، فيديريكو كورينطي، تاريخ اللغة الإسبانية، رافائيل كانو، دار نشر»آرييل»، برشلونة، ٢٠٠٤، ٢. ١٨٥-٢٠٦ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الهجري».[1] ويعني ذلك أن التعايش والتداخل بين اللغتين خلال المدة الأولى، إلى أن اشتدّ ساعد العربية وضربت جذورها في الأندلس، بعد ما يقارب قرنين من وصولها إليها، أدى إلى وجود تأثير ملموس من اللغة العربية على اللغات الرومانسية، في حين أن اللغة العربية لم تتأثر باللغات الرومانسية إلا بشكل محدود، إذا استثنينا حضور الألفاظ والتعابير الإسبانية في بعض النماذج من الشعر الشعبي، مثل قلة من الخرجات التي كانت بعض الموشحات تختتم بها[2] والأزجال الشعبية المكتوبة بالعامية الأندلسية، مثل أزجال ابن قزمان الشهيرة التي نجد فيها عددا من المقتبسات الإسبانية[3].

ما هي أشكال التداخل اللغوي بين العربية والإسبانية؟ للإجابة عن هذا السؤال بصورة علمية دقيقة، لا بد أن ننظر في الاتجاهين الاثنين، وليس باتجاه واحد، كما لا بد من الوقوف على مختلف أقسام اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية.

١- فيديريكو كورينطي، «العلاقات اللغوية والأدبية بين الأندلس وسائر الدول في شبه الجزيرة الإيبيرية»، ص. ١١.

٢- في هذا الموضوع الذي أثار قدرا كبيرا من الجدل عند الباحثين والخبراء، نوصي بالاطلاع على مقالتين للأستاذ كورينطي يضع فيهما النقاط على الحروف ويبين فيهما مدى تأثير اللغة الإسبانية المعجمي على عربية الأندلس بعيدا عن الأقوال غير السديدة والادعاءات الواهية التي لا تعتمد على أسس علمية ثابتة: ١. «الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة»، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٨١، ١٩٩٧، ص. ١٨-٢٦؛ ٢. «الخرجات المسماة بالأعجمية ومكانها من اللغة والأدب»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٣٠، ٢٠١٠، ص. ٩٩-١٢٣.

٣- «ديوان ابن قزمان القرطبي. إصابة الأغراض في ذكر الأعراض»، تحقيق فيدريكو كورينطي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ٢٠١٣، طبعة مزيدة ومنقحة. في الملحق الثاني، ص. ٥٢٢-٥٢٥ أدرج الأستاذ كورينطي قائمة المفردات الإسبانية الأصل، وفي الملحق الثالث، ص. ٥٢٦-٥٢٧، أدرج قائمة التراكيب الإسبانية والتراكيب المختلطة بين العربية والإسبانية، ولعل هاتين القائمتين خير دليل على تأثير اللغات الإسبانية على عربية ابن قزمان العامية، وهو تأثير ملموس لا نكاد نجده في مصادر أخرى مكتوبة في الأندلس حتى بعد خروج المسلمين من الأندلس.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

١ . تأثير اللغة العربية على اللغة الإسبانية

أ) المستوى الصوتي

أصبح العلماء المتخصصون بدراسة موضوع تأثير اللغة العربية على الإسبانية يستبعدون ما ذهب إليه عدد من الباحثين من أن بعض الحروف والأصوات اقتبستها الإسبانية من العربية، فصوت الخاء الإسبانية الذي يشبه صوت الخاء العربية من حيث المخرج وطريقة النطق لم يظهر في الإسبانية المركزية إلا بعد القرن الخامس عشر نتيجة لتحولات صوتية داخلية ولا وجود له في اللغات الإيبيرية الأخرى، وحتى في اللغة الإسبانية المتداولة في المناطق غير المركزية كجنوب إسبانيا (أندلوسيا) على سبيل المثال. أما قول بعض هؤلاء الخبراء إن الإسبانية غيرت نسبة الكلمات المنبورة في آخر المقاطع متأثرة في ذلك باللغة العربية، فليست لدينا أدلة ولا حجج تثبت هذه الفرضية أو ترفضها، الأمر الذي يجعلنا لا نلقي بالاً لهذا القول ولا نأخذه بعين الاعتبار.

ب) المستوى الصرفي

من أبرز ما يتجلى من تأثير العربية على الإسبانية في هذا المجال استعمال لاحقة النسبة، للدلالة على سكان البلدان العربية والإسلامية والشرقية وعلى كل ما يتعلق بها، مثل لفظي emiratí وpaquistaní العائدين إلى لفظي الإماراتي والباكستاني، بملاحظة أن نطاق استعمال هذه النسبة توسعت نوعا ما ووصلت إلى بعض الكلمات الأخرى مثل jabalí الدالة على الخنزير البري غير المدجّن الذي يعيش في الجبال والغابات، أو كلمة baladí المشتقة من البلدي والتي تدل على نفس المعنى بالإسبانية القديمة، إلا أنها تطلق بالإسبانية الحديثة على شيء تافه يمكن الاستغناء عنه، علما أن هذه الكلمة يقتصر استعمالها على بعض التعابير المسكوكة مثل no es cosa baladí أي "ليس هذا بأمر تافه يمكن الاستغناء عنه".

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ج) المستوى التركيبي

لا شيء يذكر في هذا المجال إذ أن ما اقترحه بعض الباحثين من أن الإسبانية قلدت اللغة العربية في بعض التعابير والأساليب التي يلازم بها الفعل لفظ آخر مشتق من نفس الجذر مثل burla burlando، نظرا إلى أنها تشبه التعابير والأساليب العربية المتضمنة المفعول المطلق، فلا ينبغي أخذه بعين الاعتبار لأنه من المستبعد أن يتم نقل مثل هذه التعابير الفصيحة من الكلام العربي الدارج في الأندلس إلى اللغة الإسبانية القديمة، فمن المعروف أن أغلب الألفاظ العربية التي دخلت اللغة الإسبانية جاءت إليها شفهيا لا خطيا، عن طريق التماس اللساني العادي بين لغتين محكيتين.

د) المستوى المعجمي

لا يخفى على أحد ما للغة العربية من دور بارز في صياغة المعجم الإسباني، فهي تشكل جزءا لا يتجزأ منه ولا تقل أهمية إلا عن اللغة اللاتينية التي تعتبر صلب المعجم الإسباني وعموده الفقري. أما فيما يخص طريقة وتاريخ دخول الكلمات العربية الأصل في لغات الجزيرة الإيبيرية، فنقتبس كلمات الأستاذ كورينطي في بحث صدر باللغة العربية حول هذا الموضوع:

«إن عملية الاقتباس المعجمي لم تجر مباشرة عبر الحدود القائمة بين الأندلس والممالك النصرانية الشمالية، وإنما جرى أكثر عن طريق مهاجرة أهل الذمة المسيحيين المسمين بالمستعربين إلى تلك البقاع في القرنين الثالث والرابع الهجريين، خاصة، عندما تحسنت أوضاع تلك الدويلات الاقتصادية والاجتماعية، فجذبت لأول مرة أهل الذمة المتحضرين بالحضارة الأندلسية متعربي اللغة مع حفاظهم على إلمام باللغة العجمية».[1]

١- فيديريكو كورينطي، «العلاقات اللغوية والأدبية بين الأندلس وسائر الدول في شبه الجزيرة الإيبيرية»، ص. ١٦. ويشار في هذا الصدد إلى أن الباحثتين كارمن برشلو وآنا لابارتا تعارضان هذا الرأي قائلتين إنه من المستبعد أن يكون لجماعة مهاجرة هذا النوع من التأثير في لغة المسيحيين الشماليين. انظر مقالتهما «اللغة العربية واللغة الإسبانية: تاريخ تماس عبر القرون»، في كتاب «التماس اللساني والثقافي في العالم الإسباني»، جامعة بلنسية، بلنسية، ٢٠٠١، ص. ٤٣ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ويعني ذلك أن أغلب الكلمات تم نقلها إلى الإسبانية بطريقة شفهية غير مكتوبة، وأن الإسبان «أسبنوها» إن جاز لنا التعبير، أي وضعوها في القوالب والأوزان الصرفية الخاصة بلغتهم لكي تصبح جزءا لا يتجزأ من المعجم الإسباني، بعد تأقلمها مع البيئة اللسانية الجديدة، بما في ذلك دخول الكلمات العربية مع الألف واللام وإضافة حركة في آخر الكلمة تسهيلا للنطق، وإخضاعها لتحولات صوتية أخرى تدل على أن حركة انتقال هذه الألفاظ من اللغة العربية إلى الإسبانية كانت حركة طبيعية ناتجة عن تماس لغوي وتعايش مثمر بين ثقافتين.

فيما يتعلق بمسألة عدد المفردات الإسبانية التي تعود إلى أصول عربية، يقدر العدد في بعض المؤلفات المرموقة[1] في حدود أربعة آلاف كلمة، إلا أن الأستاذ كورينطي الذي ألف قاموسين موسعين متخصصين لدراسة الكلمات العربية الأصل في كل اللغات واللهجات المنطوقة في الجزيرة الإيبيرية[2] يقترح تعداد المفردات المقتبسة من العربية فيما يقارب ألفي كلمة على اعتبار أن عددا كبيرا من الكلمات التي انضوت تحت قائمة الأربعة آلاف لا تخرج في حقيقة الأمر عن كونها مشتقات تكونت لاحقا داخل اللغة الإسبانية، مع ملاحظة أن عددا لا بأس به من المفردات العربية الأصل باتت مهجورة في الإسبانية الحديثة يكاد الناطقون بهذه اللغة لا يستعملونها أو حتى يعرفونها، وبعض هذه الكلمات تغيرت مدلولاتها إثر عملية التوسع أو التقلص أو الانتقال الدلالي.

ولا بد في هذا الصدد من الإشارة إلى ظاهرة لسانية ملفتة للأنظار، وهي التنافس الواقع بين بعض الكلمات العربية الأصل وبين مقابلاتها اللاتينية الأصل الدالة على نفس المفهوم. في الجدول التالي ندرج عدة أمثلة لهذه الظاهرة من أجل توضيح الأمر:

---

١ – من أمثال «تاريخ اللغة الإسبانية»، رافائيل لابيسا، مدريد، ١٩٨٠، الطبعة الثامنة (باللغة الإسبانية).

٢ – فيديريكو كورينطي، «قاموس الكلمات العربية الأصل والكلمات الشبيهة لها في اللغات الرومانسية الإيبيرية»، دار نشر»غريدوس»، مدريد، ١٩٩٩، الطبعة الأولى. (باللغة الإسبانية)؛ فيديريكو كورينطي، «قاموس الكلمات العربية والكلمات الشبيهة لها. اللغة الإسبانية والبرتغالية والكاتالانية والغاليقية واللهجات المرتبطة بها»، الناشر »بريل»، ليدن، ٢٠٠٨، الطبعة الأولى. (باللغة الإنجليزية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأصل العربي	الكلمة الإسبانية العربية الأصل	الكلمة الإسبانية اللاتينية الأصل
الزيتونة	aceituna	Oliva
الخياط	alfayate	Sastre
الحجام	alfajeme	Barbero
البيطار	albéitar	Veterinario
الكنزية	alcancía	Hucha

يذكر أنه في ثلاثة من هذه المفردات، وهي الخياط والحجام والبيطار،والتي تشير إلى مهن عادية، فازت الكلمات المنافسة اللاتينية الأصل، أي sastre وbarbero وveterinario بالسبق وتحولت إلى الكلمات المتداولة، في حين أن الكلمات العربية الأصل، أيalfayate وalfajeme وalbeitar قد أهيل عليها التراب وطواها النسيان حتى أن الإسبان العاديين لا يعرفون معناها، لأنها كلمات موغلة في القدم تراجع نطاق استعمالها وانطفأ بريقها أمام وهج نظيراتها اللاتينية الأصل. أما كلمة الكنزية، التي يبدو أنها اختراع أندلسي مشتق من الكنز، فلاقت نفس المصير في مناطق مركز إسبانيا وشمالها، حيث يعتاد الناس على استعمال لفظ [١] hucha، إلا أن كلمة alcancía لا تزال متداولة على ألسنة أهل الجنوب الإسباني، ولعل سبب ذلك يعود إلى تشبثهم ببعض الألفاظ الدارجة التي يهجرها أهل الشمال نظرا إلى كونها مرتبطة صوتيا بشكل أو بآخر بالأصول العربية. وفيما يخص كلمة الزيتونة، فإن الغريب في الأمر أن بعض المناطق الإسبانية تفضل كلمة aceituna، مثل الأقاليم الجنوبية التي لا تزال تحمل اسم الأندلس مع تحويره إلى أندلوسيا، إضافة إلى بعض المناطق المركزية وحتى الشمالية مثل

١– الواقع أن كلمة hucha مأخوذة من اللغة الفرنسية huche، وليس من اللاتينية. انظر في هذا الصدد "القاموس التأصيلي النقدي الإسباني"، ج. كورومينس وج.أ. باسكوال، دار نشر"غريدوس"، مدريد، ١٩٨٠–١٩٨١ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

محافظة "لا ريوخا"، في حين أن المناطق الأخرى تميل إلى كلمة oliva اللاتينية الأصل، وفي بعض المناطق تتعايش الكلمتان جنباً إلى جنب. أضف إلى ذلك أن الكلمة الدالة على شجرة الزيتون بالإسبانية هي الكلمة اللاتينية الأصل olivo، ولا وجود للفظ عربي الأصل بهذا المعنى.

وفيما يلي نقدم قائمة تتضمن بعض الكلمات العربية الأصل باللغة الإسبانية، وفقا لتصنيف دلالي قريب من التصنيف الذي اقترحه الباحث الألماني رينهارد كيسلر[١]، مع بعض التعليقات الدائرة حول أصل الكلمات ونطاق استعمالها وما تعرضت له من تحولات صوتية ودلالية:

الطب والأمراض:

albarazo (من البرص) مع ملاحظة أن الصيغة الإسبانية تضيف حركة في نهاية الكلمة تسهيلا لنطقها، بسبب تنافر اللسان الإسباني مع الكلمات المنتهية بصوت الزاي الإسبانية، كما أن الكلمة فيها تشديد أو نبرة على المقطع الثالث تدل على أنها مأخوذة عن عربية أهل الأندلس، الذين كانوا ينطقون بها مع تشديد المقطع الأخير، أي "البراص"؛jaqueca (من الشقيقة) بمعنى الصداع أو الألم في الرأس، ويبدو أن سبب التسمية هو أن هذا الألم يصيب شقا واحدا من الرأس دون الآخر، ويلاحظ في الكلمة تحول الشين العربية إلى الخاء الإسبانية الرائجة في إسبانية المنطقة المركزية فقط.

jarabe (من الشراب) وتدل الكلمة الإسبانية مبدئيا على كل شراب مسكر، إلا أن المدلول الحديث يقتصر في الغالب على كل دواء سائل يتناول شرابا.

zaratán(من السرطان) للدلالة على الورم أو على داء السرطان، علما بأن السين العربية تحولت إلى زاي إسبانية، كانت في العصور الوسطى صوتا مجهورا وأصبحت في الإسبانية المركزية الحديثة صوتا مهموسا شبيها بالثاء العربية.

١- انظر قاموس الباحث الألماني كيسلر: «قاموس مقارن صغير للمفردات العربية الأصل في اللغات الإيبيرية واللغة الإيطالية»، رينهارد كيسلر، دار نشر»فرانكي»، توبينغن، ١٩٩٤.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ السكن والتعمير:

alcantarilla (من القنطرة) وقد أضيفت لاحقة التصغير الإسباني على الكلمة الأصلية وهي alcántara، وتدل الكلمة على شبكة المجاري لجمع مياه الأمطار والصرف ونقلها إلى محطات التصفية.

aldea (من الضيعة) بملاحظة أن المدلول الإسباني للكلمة تحول من المعنى العربي المعتاد إلى معنى القرية الصغيرة، ومن الجدير بالذكر أن اللام الدخيلة على الكلمة الإسبانية قد تدل على أن الكلمة اقتبست في العصر الأندلسي الأول، حينما كان لليمنيين في الأندلس نفوذ كبير، فمن المعروف أنهم كانوا ينطقون الضاد بطريقة جانبية مما أدى إلى سماع شيء يشبه اللام ونقله إلى الصيغة الإسبانية للكلمة.

alféizar (من الحيز) بمعنى حافة النافذة، مع تحويل الحاء العربية إلى الفاء الإسبانية التي كانت في بعض الأحيان تقوم مقام الهاء، ومع إضافة الراء في آخر الكلمة.

arrabal (من الربض) بمعنى الضاحية أو الحي الخارجي للمدينة، ويلاحظ في هذه الكلمة النبرة على المقطع الأخير على طريقة أهل الأندلس واستبدال الضاد في ختام الكلمة باللام، بسبب طريقة النطق اليمني الذي أشرنا إليه أعلاه.

azotea (من السطيّح) وهي صيغة التصغير الأندلسي لكلمة السطح، وليس التصغير الفصيح "السطيْح" مما يفسر وجود حركة a في آخر الكلمة الإسبانية، وتعني الكلمة السطح الموجود في أعلى البيوت.

barrio (من البرّاني أو البرّي) بمعنى الحي أو الضاحية في المدينة، مع إضافة حركة أخيرة في الكلمة الإسبانية.

■ النباتات والحيوانات:

acebuche (من الزبوج)، وهو الزيتون البري، والكلمة أمازيغية الأصل[1] ولا تزال

١- نشير هنا إلى أن كلا من المستشرق الألماني شارلي كوينتز في مقالته «أثر اللغة البربرية في عربية المغرب»، مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، ٨، ١٩٥٥، ص. ٣٣٣، ١٩٥٥ والأستاذ كورينطي في قاموسه الصادر عام ١٩٩٩ المذكور آنفا، يميلان إلى الاعتقاد بأن الكلمة مأخوذة من كلمة عربية

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

واردة في أسماء أماكن في نطاق البحر الأبيض المتوسط[1].

acelga (من السلقة)، وقد يعود أصل الكلمة إلى أن العادة تجري على أكلها مسلوقة[2]؛

adive (من الذيب بالدارجة الأندلسية والذئب بالفصحى) بمعنى أبن آوى، بملاحظة أن الكلمة مهجورة في الإسبانية الحديثة.

alacrán (من العقرب) بنفس المعنى، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة الإسبانية استبدلت الباء العربية الأخيرة بنون إسبانية لكراهية الباء في آخر الألفاظ، ومن جهة أخرى يلاحظ وقوع الشدة أو النبرة على المقطع الأخير على طريقة النطق الأندلسي؛ algodón (من القطن أو القطون بكلام أهل الأندلس)، وهي كلمة منتشرة في اللغات العالمية، مع وقوع الشدة أو النبرة على المقطع الأخير وتحويل الطاء إلى الدال الإسبانية المجهورة.

arroz (من الرز) وهي كلمة انتقلت إلى العربية من اللغات الهندية.

azafrán (من الزعفران).

jabalí (من الجبلي) وهو اسم يطلق على الخنزير البري نظرا لوجوده في الجبال.

■ المؤسسات العسكرية:

aceifa (من الصيفة الأندلسية بمعنى فترة الحصاد)، وهي كلمة أضحت مهجورة بالإسبانية حتى استردها المؤرخون للدلالة على الغارات والحروب التي تقام في الصيف.

واردة في قواميس العربية الفصحى هي زعبج أو زغبج، إلا أن الأرجح عندنا أن مثل هذه الكلمة المنتشرة في ضفتي المتوسط لم يتم استنباطها من كلمة عربية شرقية بل من كلمة أمازيغية محلية.

١- على سبيل المثال لا الحصر هناك الإقليم المالطي المسمى Zebbug، وبعض الأماكن في البرتغال التي لا تزال تحمل اسم Zambujal، مع إدراج ميم بدلا من تضعيف الباء، ومدينة الزبوجة في الجزائر وأخرى بنفس الاسم في المغرب.

٢- عن هذه الكلمة يقول الأستاذ كورينطي في قاموسه الصادر عام ١٩٩٩ إن الأصل الأخير هو الكلمة اليونانية «سيكيلي» مع قلب اللام والقاف، غير أن الأرجح عندنا هو اشتقاق الكلمة من جذر سلق العربي.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

adalid (من الدليل) وقد تحول معنى الكلمة بالإسبانية من الدليل الذي يكون في طليعة الجيش لكي يدله إلى معنى القائد العسكري والبطل، ومن الملاحظ أن اللام الأخيرة للكلمة العربية تم استبدالها بدال إسبانية.

adarve (من الدرب) بمعنى الممر العالي بين سور الحصن، ومع زيادة حركة e في آخر الكلمة الإسبانية بسبب تفادي ختام الألفاظ الإسبانية بحرف الباء.

alarde (من العرض) بمعنى العرض العسكري أي اصطفاف الجيش أمام القائد قبل الشروع في معركة أو غارة، إلا أن الكلمة أصبحت في الإسبانية الحديثة لا تستخدم إلا في تعبير مسكوك هو hacer alarde de أي إظهار ميزة أو مهارة بشيء من التكبر والتعالي، وتمت إضافة حركة e الإسبانية إلى آخر الكلمة.

alborozo (من البروز الأندلسية بمعنى العرض العسكري والخروج إلى المعركة) مع ملاحظة أن النطاق الدلالي للكلمة تطور في الأندلس إلى بعض المسيرات في الأعياد، مما أدى إلى تغيير المدلول باللغة الإسبانية حيث تعني الكلمة الفرح والغبطة والتعبير عنهما، ويلاحظ أن الكلمة الإسبانية أضيفت إلى آخرها حركة o التي تتوافق والحركتين السابقتين للكلمة.

alcazaba (من القصبة) بمعنى الحصن الواقع في أعلى المدينة، مع ملاحظة وقوع النبرة على المقطع الثالث وفقا لطريقة النطق الأندلسي، ويجدر بالذكر أن هناك صيغة أخرى من نفس الكلمة في الإسبانية هي casba، ولكنها مأخوذة في القرن العشرين من الفرنسية التي أخذتها بدورها من عربية المغرب مما أدى إلى عدم وجود أي حركة بين الصاد والباء، اتباعا في ذلك النطق المغربي.

alférez (من الفارس)، وتدل الكلمة الإسبانية على رتبة في الجيش، ومن الملاحظ أن ألفها الممدودة مالت إلى صوت متوسط بين الألف والياء، وأن السين الأخيرة انتقلت إلى زاي إسبانية كانت صوتا مجهورا في العصور الوسطى إلا أنه أصبح مهموسا في الإسبانية المركزية الحديثة.

atalaya (من الطلايع)، وتدل الكلمة بالإسبانية على موضع للمراقبة أو مرصد عسكري، بما يعني ذلك من تحول دلالي ملحوظ، إذ أن الكلمة العربية تدل على الصفوف الأولى من الجيش.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

rehén (من الرهان جمع الرهين) مع إمالة الألف نحو صوت متوسط، ويلاحظ أن الكلمة الإسبانية خالية من الألف واللام ومن إضافة حركة إسبانية في آخرها لتكييفها مع القوالب الصوتية المعتادة لديهم، وذلك لأن صوت النون صوت مقبول في أواخر الألفاظ.

اللباس والأثاث:

albornoz (من البرنوس في عربية الأندلس) وهو لباس من الصوف معروف عند الأمازيغ في الأندلس، غير أن الكلمة في الإسبانية الحديثة تفيد معنى اللباس المستخدم بعد الاستحمام أو السباحة، ويلاحظ فيه تحويل السين العربية إلى زاي إسبانية مجهورة في القديم ومهموسة في الوقت الحالي.

alfombra (من الحنبل) بمعنى السجاد أو البساط، وقد تعرضت الكلمة بعد دخولها في الإسبانية لعدة تحولات صوتية منها استعمال الفاء الإسبانية بدلا من الهاء على جري عادة هذه اللغة في العصور الوسطى، وتحويل النون إلى ميم واللام إلى راء، واستبدال فتحة الحاء بحركة o بسبب جوار صوتي الميم والباء الشفويين، وإضافة حركة a الدالة على التأنيث[1].

aljuba (من الجبة) بمعنى لباس خاص بالمسلمين، وهي كلمة مهجورة غير متداولة اليوم مع ملاحظة أن هناك لفظا آخر من نفس الأصل هي chupa شاعت عند الشباب الإسبان في الآونة الأخيرة بمعنى سترة رجالية، ويدل حرف ch في أول الكلمة على أن الاقتباس تم في عصر متأخر وعن طريق الإيطالية أو الفرنسية.

almohada (من المخدة بالضمة) بمعنى الوسادة ويشار إلى أن الخاء العربية تحول إلى حرف الهاء الإسبانية غير المنطوقة في العصر الحديث.

ataúd (من التابوت) مع اقتصار الدلالة على الصندوق الخشبي الذي يأوي

١- لقد فسر كل هذه التحولات الصوتية الأستاذ كورينطي في قاموسه المذكور أعلاه المنشور عام ١٩٩٩، ص. ١٥٣، عبر توثيق صيغ أخرى للكلمة منها alfâmbara و al(h) hombra و alf /hámar.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

جثمان الميت، ويلاحظ في الكلمة الإسبانية إسقاط الباء التي أصبح نطقها ضعيفا بين حركتين، واستبدال الباء الأخيرة العربية بدال إسبانية لنفور الإسبان من ختام الألفاظ بحرف الباء.

zaragüelles (من السراويل) بنفس المعنى ويلاحظ أن اللغة الإسبانية أضافت إلى الكلمة التي دخلت فيها بالجمع لاحقة الجمع الإسباني المنتهي بالسين، كما يلاحظ أن الكلمة باتت مهجورة في لغة اليوم واستبدلت بكلمة أخرى مأخوذة من اللاتينية هي calzones.

▪ الاقتصاد والأعمال:

albarán (من البراءة) وكانت الكلمة بالدارجة الأندلسية تعني الإعفاء وإثبات الدفع، إلا أنها تحولت دلاليا لتفيد معنى الوثيقة التي تثبت ذلك[1]، وبالإسبانية الحديثة تعني الإيصال المحرر عند استلام البضائع، ومن الناحية الصوتية يجدر بالذكر إضافة النون الأخيرة وعدم إمالة الألف بسبب جوار الراء والهمزة، وهما من الحروف التي تمنع من ظهور الإمالة في عربية الأندلس.

alquiler (من الكراء) بنفس المعنى، مع إضافة راء إسبانية وقلب الراء العربية لاماً إسبانية، ولعل إمالة الألف نحو الياء تعود إلى أن الهمزة الأخيرة لم ينطق بها في كلام أهل الأندلس.

almacén (من المخزن) بمعنى بناية أو قاعة لتخزين البضائع، ويلاحظ في الكلمة إمالة الفتحة نحو الكسرة عبر حركة e المتوسطة بينهما، وقد دخلت نفس الكلمة بالعربية في الإسبانية مؤخرا عن طريق الدارجة المغربية ولكن بصورة أخرى وهي majzén بمعنى الإدارة والحكومة المركزية في المغرب.

almotacén (من المحتسب) وهي كلمة مهجورة في الإسبانية كانت تدل على

١- ويشار في هذا الصدد إلى أن لفظ البراء بالدارجة المغربية أصبحت تفيد معنى الرسالة. انظر «قاموس العربية المغربية - الإسبانية»، فرانسيسكو موسكوسو، دار نشر ابن طفيل، المرية، ٢٠٠٧، ٢. ٦٠ و٢٩١.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الشخص الذي يتولى منصب ناظر الأسواق، ويلاحظ في صورة الكلمة بالإسبانية استبدال الباء الأخيرة التي يصعب على المتكلمين الإسبان النطق بها عند أواخر الكلمات؛

arancel (من الإنزال)وتعني الكلمة بالإسبانية الرسوم الجمركية، ويقول الأستاذ كورينطي في تحقيقه لديوان ابن قزمان إن الإنزال يعني حق الجنود في النزول ببيوت الناس أثناء غزواتهم[1]، وتحول النطاق الدلالي للكلمة حتى أصبحت تعني الواجبات والرسوم وخاصة الجمركية منها، ويلاحظ في الكلمة إمالة الألف نحو الياء واستبدال اللام الأولى بالراء الإسبانية، ويعود ذلك إلى ظاهرة الإبدال الصوتي ونفور الإسبان من التقاء لامين في نفس الكلمة.

tarifa (من التعريفة) بنفس المعنى أي قائمة الأسعار.

zoco (من السوق) ويذكر أن الكلمة الإسبانية تدل في الغالب على الأسواق المغربية، وأن الصيغة الإسبانية للكلمة بدون إدماج الألف واللام تدل على أن الكلمة لم تدخل الإسبانية إلا في وقت متأخر، خلافا على صيغ أخرى من نفس الكلمة مسجلة في البرتغالية (açougue) والكاتالانية (assoc) والأراغونية (azoque) التي بقيت فيها الألف واللام جزءا لا يتجزأ من الكلمة على جري عادة المقتبسات العربية الأندلسية وخصوصا تلك التي استعارتها اللغات الرومانسية في وقت مبكر.

الزراعة:

aceña (من السانية) بمعنى طاحونة الماء، وقد مالت الألف نحو الياء وتحولت النون بجوار الياء إلى صوت ñ الإسباني المتميز.

acequia (من الساقية) بمعنى قناة للسقي أو مسقى أو ساقية، مع إمالة الألف نحو الياء؛

alberca (من البركة)بمعنى البِركة أو الحوض أو الصهريج.

aljibe (من الجبّ) بمعنى الجُب أو خزان الماء تحت الأرض، وتدل حركة i الإسبانية في هذه الكلمة على أن أهل الأندلس كان بعضهم ينطقون بها بكسر الجيم والبعض

---

١ – «ديوان ابن قزمان»، تحقيق ف. كورينطي، ص. ٢٢٣.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الآخر بضمها وفقا لصيغ أخرى للكلمة احتفظت بالضمة، مثل aljube بالبرتغالية و aljub بالكاتالانية.

azud (من السدّ) بمعنى ما يصنع في النهر من سد أو خزان لجمع المياه من أجل سقي المزارع[1].

البناء:

adobe (من الطوب) بنفس المعنى مع ملاحظة أن الطاء العربية تحولت إلى الدال الإسبانية المجهورة مما يدل إما على اعتبار الإسبان لصوت الطاء العربية صوتا مجهورا وإما على تحول هذا الصوت إلى صوت مجهور بسبب وجوده بين حركتين.

alarife (من العريف) بمعنى شيخ البنائين أي الخبير بفنون البناء، مع ملاحظة أن الإسبانية أضافت إلى الكلمة حركة في آخرها لتسهيل النطق بها[2].

albañil (من البناء) بمعنى العامل في البناء، ويلاحظ في الكلمة أن الألف مالت نحو الياء على طريقة النطق بالكلمة عند أهل غرناطة في المرحلة الأندلسية الأخيرة خلافاً لصيغ أخرى من نفس الكلمة العربية الأصل في لغات رومانسية أخرى مثل albanel بالبرتغالية.

azulejo (من الزليج) وهو تصغير غير مطرد للفظ المزلج، مع ملاحظة أن الإسبانية أدرجت في آخر الكلمة حركة o تسهيلا للنطق بالكلمة وأن الصائت الثنائي لهذه الكلمة الواردة في الدارجة الأندلسية تحول إلى حركة بسيطة e، ولا نعرف بالضبط ما إذا تم التحول المذكور قبل وصول الكلمة إلى الإسبانية أو بعده.

tabique (من التشبيك) وتعني الكلمة بالإسبانية الجدار الداخلي الفاصل في

١- ولا يفوتنا أن نؤكد هنا على أهمية الماء في النظام الزراعي العربي ومدى تأثيره على تطوير هذه الصناعة في الأراضي الإسبانية استنادا إلى خبرة الأندلسيين الواسعة في هذا المجال.

٢- وقد بقيت الكلمة راسخة في أذهان الإسبان إلى يومنا هذا لأنها مستعملة في اسم مركب معماري متميز متكون من بنايات وبساتين جميلة يقع في غرناطة إلى جانب قصر الحمراء الشهير، واسمه بالإسبانية Generalife وهو اسم مشتق من الاسم العربي الأصيل وهو "جنة العريف".

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

البيوت، وقد يبدو هذا الاقتراح التأصيلي غريبا وصعب التبرير بسبب اختفاء الشين العربية دون سبب واضح، إلا أنه مؤكد بفضل معلومات الكاتب الإسباني الموريسكي بيدرو دي الكالا الذي وضح الأمر في معجم عربية الأندلس الصادر في غرناطة في القرن السادس عشر الميلادي[1].

فنون الطبخ:

albóndiga (من البندقة) وتعني الكلمة بالإسبانية الكبة أو كرة من اللحم، وكانت الكلمة في عربية الأندلس تطلق على البندق، ونظرا لتشابه ثمرة البندق بهذا الطعام، تحول نطاق استعمال الكلمة لتدل على الحقيقة الجديدة.

almíbar (من الميبة المأخوذة بدورها من الفارسية "مي بي") والتي تدل على الشراب السكري، وقد أضيف حرف الراء في آخر الكلمة الإسبانية؛ almirez (من المهراز) بنفس المعنى باللغتين، مع إمالة الألف نحو صوت متوسط بين الألف والياء والإبقاء على حرف الزاي الأخيرة إذ أن الإسبانية تسمح بإغلاق الألفاظ بهذا الحرف؛

almojábana (من المجبّنة) وهي بالإسبانية حلوى من الجبن والدقيق، ويلاحظ في الكلمة تخفيف الباء المضاعفة.

arrope (من الرُبّ) بنفس المعنى ومع إلحاق الكلمة بصوت زائد لتسهيل النطق بالكلمة بعد دخولها الإسبانية.

الدين والمؤسسات الشرعية:

alcalde (من القاضي) ويشار في هذه الكلمة إلى ظاهرتين لسانيتين أولهما الانتقال الدلالي لها إذ أنها تدل باللغة الإسبانية الحديثة على العمدة أو رئيس البلدية في حين أنها كانت تدل بعربية الأندلس على القاضي؛ أما الظاهرة الثانية، فهي إدراج لام قبل الدال الإسبانية وقد يعود ذلك كما أشرنا إليه سابقا إلى تلفظ جانبي لصوت الضاد في المراحل

١- انظر كتاب الأستاذ كورينطي «المعجم العربي الأندلسي وفقا لبيدرو دي الكالا»، جامعة مدريد الكومبلوتينسي، مدريد، ١٩٨٨ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأولى من تاريخ الأندلس على يد مجموعة من الفاتحين ذوي الأصل اليمني.

alfaquí (من الفقيه) بنفس المعنى مع ملاحظة أن الهاء الأخيرة كانت قد سقطت في عربية الأندلس قبل دخول الكلمة في اللغات الرومانسية.

alguacil (الوزير) وتعني الكلمة باللغة الإسبانية إما عوناً قضائياً وإما مساعداً يعمل في مجلس بلدية، بما يعني ذلك من تحول دلالي يلفت الأنظار، مع الإشارة إلى استبدال الراء الأخيرة العربية بلام إسبانية ويعود ذلك إلى تقارب الراء واللام في المخرج الصوتي؛ ومن الجدير بالذكر أن الإسبانية أخذت كلمة أخرى من نفس الأصل ولكن بوقت متأخر وعن طريق غير مباشر، وهي كلمة visir التي جاءت إلى الإسبانية عن طريق التركية والفرنسية، بدون ألف لام ومع السين التي قلما تنقل حرف الزاي العربية في المقتبسات العربية الأصيلة في الإسبانية، وتدل هذه الكلمة على نائب الرئيس أو نائب الحاكم في الحكومات الإسلامية القديمة.

aljama (من المسجد الجامع وأيضا من الجماعة)، فإن للكلمة بالإسبانية معنيين أولهما المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة وثانيهما جماعة المسلمين أو اليهود في مدينة ما، إلا أن وقوع النبرة على المقطع الثاني لا الثالث من اللفظ الإسباني يدل على أن المعنى الثاني اندمج في الأول لأنه لو لم يوجد الأول لكانت الكلمة قد تحولت إلى صيغة أخرى مثل ❋jamaa أو ❋jamaha؛

almuédano (من المؤذن مع فتح الذال) مع ملاحظة أن الإسبانية اقتبست صيغة أخرى من نفس الأصل في وقت متأخر وعن طريق غير مباشر عبر التركية والفرنسية وهي muecín بدون ألف لام ومع كسرة منبورة في المقطع الأخير، وهي صيغة لا تتطابق مع صيغ المقتبسات العربية التي دخلت الإسبانية عن طريق الأندلس.

mezquita (من المسجد)، وقد فسر الخبراء الصيغة الغريبة لهذه الكلمة بالإسبانية[1]، مع نقل الجيم إلى صوت انفجاري بالإسبانية أي q ولاحقة التأنيث قائلين إن الصوت الانفجاري يعود إلى النطق الخاص باليمنيين وهم من أوائل الفاتحين المسلمين الوافدين

١- إن اللغة الأمازيغية أخذت الكلمة وأعطتها صيغة شبيهة جدا من الإسبانية وهي «تامزكيدا» أو «تمزكيدا». انظر «المعجم العربي الأمازيغي»، محمد شفيق، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٦، ص. ٤٩٧.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إلى الأندلس؛ أما لاحقة التأنيث، فلعلها تعود إلى نفس الأصل اليمني إذ أنه من المعروف أن اليمنيين كانوا يترددون بين تأنيث بعض الكلمات وبين تذكيرها.

هذه الكلمات الإسبانية السابقة الذكر إنما هي نزر يسير أو غيض من فيض كما يقال، فبإمكاننا أن نضرب الكثير والكثير من الأمثلة الأخرى التي تبين الكمية الهائلة من المقتبسات العربية في اللغات الإسبانية، مما أضفى عليها طابعا خاصا في المجال المعجمي يميزها عن سائر اللغات الأوروبية سواء اللاتينية الأصل منها وما سواها.

وهناك جانب آخر من جوانب التأثير العربي على اللغات الإيبيرية وهو العدد الكبير من الأعلام الجغرافية التي اتخذت اسما عربيا والتي ينعكس فيها وقع اللغة العربية. من لم يسمع عن اسم "وادي الكبير" Guadalquivir الذي يمر بكل من قرطبة وإشبيلية؟،ومن لم يسمع عن قلعة أيوب الواقعة في شمال الجزيرة والتي تحول اسمها إلى Calatayud؟، أو عن جبل طارق وهو أول موقع نزل به فاتح الأندلس الأول طارق بن زياد، وهو بالإسبانية Gibraltar، وإلى ما هنالك من أسماء الأماكن ذات الأصول العربية؟ إلا أننا نظرا إلى ضيق الوقت وسعة المجال، لا نتطرق في هذا البحث إلى هذا الموضوع الشيق المهم الذي يستحق دراسة وافية ضافية لم تكتمل بعد. صحيح أن الخبراء والمهتمين بالموضوع نشروا ما لا يستهان به من أبحاث وكتب، غير أننا ما زلنا نفتقد إلى دراسة شاملة ومفصلة توضح الأصول العربية للكثير من الأعلام الجغرافية الإيبيرية[١].

أما في العصر الحديث، بعد أن تحولت الأندلس إلى دولة بائدة وبعد أن يممت إسبانيا وجهها شطر أوروبا وأدارت ظهرها لذلك الإرث العربي الغني، فيمكن القول إن التأثير هو قليل وغير مباشر، ويقتصر على ما يرد إلينا في وسائل الإعلام وأعمال المستعربين من أخبار ومعلومات حول العالم العربي المعاصر، باستثناء مجموعة من

---

١ – لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع المهم يمكن الاطلاع على الدراسة التمهيدية للأستاذ محمود علي مكي المكتوبة بالعربية: «مدخل إلى دراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في إسبانيا»، محمود علي مكي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، ١٩٩٦. وإضافة إلى ذلك، هناك الكثير من الأبحاث المكتوبة باللغة الإسبانية في هذا المجال، من أمثال أعمال الأستاذ إلياس طيريس الذي جمع عددا كبيرا من الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية وانهمك في دراستها وتمحيصها عبر منهج علمي دقيق، إلا أنه لم يتمكن من إكمال مشروعه الكبير.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الكلمات وصلت إلى اللغة الإسبانية نتيجة لاحتكاك إسبانيا مع جارتها الجنوبية المغرب خلال فترة الحروب الإفريقية، كما اعتادت الدوائر الإسبانية تسميتها وفترة الاستعمار الإسباني لشمال المغرب ابتداء من أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين، ومن بينها jarca المشتقة من الحركة والتي تعني مجموعة من الجنود، وcabila من القبيلة وبنفس المعنى وjaima من الخيمة بنفس المعنى وhachís من الحشيش بمعنى الكيف أو القنب الهندي. ولعل خير دليل على أن هذه الكلمات لم تدخل اللغة الإسبانية إلا مؤخرا أن طريقة نقل الأصوات العربية فيها تختلف عن طريقة اشتقاق الألفاظ العربية الأندلسية في العصور الوسطى، فعلى سبيل المثال توجد بالإسبانية كلمة عربية الأصل مأخوذة من لفظ الحركة العربي، ولكن بصيغة أخرى تنسجم مع مبادئ اشتقاق الكلمات في العصر الأندلسي، وهي alharaca مع إدماج الألف واللام في الكلمة ونقل الحاء العربية بواسطة h إسبانية، ونفس الشيء يلاحظ في كلمة القبيلة التي دخلت الإسبانية القديمة بصيغة alcabela وهي صيغة أقرب إلى النطق الأندلسي.

استنادا إلى بحث كارمن برشلو وأنا لابارتا[1]، يمكن الإشارة هنا إلى أن شيوع بعض المفاهيم والحقائق المرتبطة ارتباطا وثيقا بالوطن العربي والأمة الإسلامية والسياسة جعل اللغة الإسبانية تحتضن في معجمها عددا من الكلمات العربية الأصل، مثل intifada من الانتفاضة وyihad من الجهاد وsuní من السُنّي وchiíí من الشيعي وtalibán من طالبان، إلا أن هذه الكلمات الحديثة لم تتعرض لنفس العملية الصوتية التي تعرضت لها الألفاظ التي دخلت الإسبانية في العصور الوسطى، وبالتالي لم تندمج بعد بشكل نهائي في المعجم الإسباني لأن الناطق بالإسبانية يدرك أنها ألفاظ جاءت من لغة أخرى. ومما يدل على عدم الاندماج وجود بعض الترددات في توحيد هجاء هذه الكلمات، كما نراه في كلمة chiíí التي قد تكتب بصيغتين أخريين: shií وchiíta، أو في تحديد جنس بعض هذه الكلمات، مثل yihad التي يؤنثها البعض (la yihad) في حين أن البعض الآخر يذكّرها (el yihad).

١- «اللغة العربية والإسبانية: تاريخ تماس عبر القرون»، كارمين برشلو وأنا لابارتا، جامعة بلنسية، بلنسية، ٢٠٠١، ص. ٣١-٥٢.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

٢. تأثير اللغة الإسبانية على اللغة العربية.

بما أن التداخل اللغوي له وجهان متكاملان لا يمكن فصل الواحد عن الآخر عند دراسة هذه الظاهرة، فلا مفر من الوقوف على آثار اللغة الإسبانية وانعكاساتها في اللغة العربية. غني عن القول إن أفول نجم الأندلس وهجرة المسلمين إلى أقطار أخرى من العالم العربي، بعد طردهم من إسبانيا، حد من استمرار التداخل المباشر بين الناطقين باللغتين العربية والإسبانية، مما أبعد لغة الضاد عن دائرة التأثير الإسباني بحيث أنها تكاد لا تحتفظ بشيء من الدخيل من الإسبانية. غير أن اللغة العربية التي كانت متداولة في الأندلس، وخصوصا اللغة الدارجة التي وصلت إلينا نماذج منها في الشعر الشعبي وفي مصادر أندلسية أخرى، تأثرت نوعا ما بالمحيط اللساني الرومانسي على كل مستويات اللغة. ومن هذا التأثير الذي يقتصر على كلام أهل الأندلس،[١] نذكر ما يلي:

المستوى الصوتي: من الآثار التي تركتها اللغة الإسبانية في عربية الأندلس نخص بالذكر هنا انضمام بعض الأصوات الرومانسية إلى قائمة الأصوات في عربية الأندلس، وإن كانت هذه الأصوات ذات طابع هامشي في المنظومة الصوتية. نقصد صوت الباء المهموسة (p)الذي يظهر في ألفاظ شتى أغلبها مقتبسة من الإسبانية مثل "بوية" بمعنى الرغيف و"كابة" بمعنى المعطف؛ وصوت الجيم على الطريقة المصرية واليمنية (g) الذي استعمله الأندلسيون لنقل بعض الألفاظ اللاتينية الأصل التي كانت تنطق بهذا الصوت مما يدل على النطق اليمني لصوت الجيم: نهر تاجو (بالإسبانية القديمة Tagus)؛ أضف إلى ذلك طريقة كتابة بعض الألفاظ العربية بالحروف اللاتينية، مثل "المجامع" التي نقلت كما يلي: almagama، بمعنى قاع السفينة مما يثبت النطق اليمني. ولعل أبرز ظاهرة على المستوى الصوتي هي أن الأندلسيين لم يعودوا يدركون الفرق بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة إذ أن الخلفية الصوتية الإسبانية كانت تعتمد على

١- يذكر أن عربية الأندلس انتشرت في أقطار المغرب نتيجة للتواصل بين الضفتين وهجرة الأندلسيين إليها بعد طردهم من الجزيرة، مما أدى إلى إدراج بعض الكلمات الأندلسية في اللهجات المغربية، مثل البرطال بمعنى الدوري من الطيور والكابة بمعنى المعطف والقطينة بمعنى القيد الحديدي وألفاظ أخرى يمكن الاطلاع عليها في بحث الأستاذ كورينطي «عربية الأندلس واللغات الرومانسية»، فيدريكو كورينطي، دار نشر»مافري»، مدريد، ١٩٩٢، ص. ٣٥-٣٦ (باللغة الإسبانية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

النبرة، بمعنى أن الإيقاع الصوتي العربي الأصيل المستند إلى كمية المقاطع تم استبداله بالإيقاع الرومانسي المعتمد على النبرة أو الشدة على بعض المقاطع. ونتيجة لذلك اعتاد الأندلسيون استخدام رسم خاص لبعض الكلمات مثل "ذناب" بدلا من ذنب و"معتميد" بدلا من معتمد و"نفلاح" بدلا من نفلح.

المستوى الصرفي: من آثار اللغة الإسبانية على عربية أهل الأندلس في هذا المجال عدم التفريق بين جنس المخاطب من الأفعال والضمائر؛ استعمال صيغة اسم المفعول في الأفعال التي لا تفيد فعلا حقيقيا مثل "محمول" و"مثمول" و"متعوب"؛ واستعمال مجموعة من اللواحق الرومانسية الدالة على التكبير (مثل ón وot) وعلى التصغير (مثل él).

المستوى التركيبي: يمكن الإشارة في هذا المجال إلى تغيير جنس بعض الألفاظ العربية نتيجة لشيوع ألفاظ رومانسية تقابلها ولها جنس معاكس، مثل العين التي تتحول إلى كلمة مذكرة في بعض النصوص الأندلسية (عينا أكحل، في تعبير ابن قزمان)[١]، ونفس الشيء بالنسبة للشمس؛ أما الماء فقد يأتي اسما مؤنثا على الطريقة الإسبانية (الماء المباركة حسب قول بيدرو دي الكالا، والماء تهبته، وفقا لقول الزجالي)[٢]؛ اقتباس بعض التعابير الرومانسية غير المألوفة بالعربية، مثل «نخرج لوالدي» بمعنى أنني شبيه بوالدي، أو «ضربت في الوجه» بمعنى لمت أحدا على فعل مرفوض.

المستوى المعجمي: نتيجة للتماس اللساني بين العربية والإسبانية، دخل في عربية الأندلس عدد كبير نسبيا من الألفاظ الرومانسية. وفقا لمجموعة من الأبحاث الرامية إلى رصد هذه الظاهرة[٣]، يحتوي ما وصل إلينا من نصوص مكتوبة بعربية الأندلس على

١- انظر تحقيق الأستاذ كورينطي المذكور آنفا، ص. ٢٨٠.

٢- انظر قاموس بيدرو دي الكالا، تحقيق الأستاذ كورينطي ص. ١٤؛ «أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحيى الزجالي القرطبي (٦١٧ -٦٩٤هـ)»، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، مثل رقم ١٧٧.

٣- على سبيل المثال كتاب «عربية الأندلس واللغات الرومانسية»، فيدريكو كورينطي، دار نشر»مافري»، مدريد، ١٩٩٢، ص. ١٣٢-١٤٢ (باللغة الإسبانية) وفيما يخص مستعربي مدينة طليطلة انظر مقالة «الألفاظ الأندلسية المقتبسة من اللغات الرومانسية. التصنيف والتوزيع»، إغناثيو فيراندو، كتاب أعمال مجموعة الدراسات اللغوية الحامية السامية، باريس، ١٩٩٩-٢٠٠٠، ص.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

نسبة من الكلمات الرومانسية الأصل تقارب ٥٪ من إجمالي الألفاظ، وهي نسبة ذات بال ولكنها ليست غريبة في مثل هذه الحالة من التعايش المديد بين لغتين. ونظرا إلى أن هذه الكلمات الإسبانية لم تخرج عن إطار عربية الأندلس، فمحكوم عليها الانقراض والنسيان مما يجعلنا لا ندرجها هنا وننصح القارئ المهتم بالاطلاع على بحثي كورينطي وفيراندو المشار إليهما في الهامش.

ولا يفوتنا عند ختام هذا البحث المتواضع أن نشير إلى أهمية دراسة هذه الأشكال من التداخل اللغوي التي تعكس روح التعايش السلمي والتفاهم بين ثقافتين لم تستطيعا إلا أن تتعلما من بعضهما البعض، بكل ما في ذلك من إثراء للغتين وإغناء لهما. فالإسبان الذين لا يعترفون بما اضطلعت به اللغة العربية من دور مهم في تكوين اللغة الإسبانية وتوسيعها وصقلها إنما هم متجاهلون لجزء من هويتهم الأصيلة وفاقدون لشيء من جوهرهم. وبالمقابل، من لا يدرك من العرب أن المؤلفات الأندلسية الرائعة، التي كتبت في كل مجال من مجالات الثقافة والأدب والفن، تحتوي على نزر ولو كان يسيرا من الثقافة الإسبانية والروح الإيبيرية، فأقل ما يقال فيه أنّه غير منصف وغير دقيق في تصوره وأفكاره.

١٠٥-١١٩ (باللغة الفرنسية).

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

النقوش الكتابية في إسبانيا وصناعة الأحرف على المواد الصلبة

د. إغناثيو كوتيرّث دي تران كومث بنيتا
جامعة مدريد

١ . الأندلس والحضارة العربية ومكانتها في تاريخ إسبانيا

- شهدت دراسة التراث الإسلامي في الأندلس وتجلياتها الراهنة في إسبانيا الحديثة زخما كبيرا في العقود الماضية، بفضل الاكتشافات والتنقيبات الجديدة، وتطوير آليات البحث العلمي واستعداد جزء كبير من المجتمع الإسباني ومعه الأوساط الثقافية المحلية، للتعامل الصريح والإيجابي مع التركة الإسلامية الأندلسية. ومما ساهم مساهمة بناءة في هذه المهام تخلص المؤرخين من أوزار الأفكار والمواقف المسبقة المعادية للعرب والإسلام، والتي كانت سائدة طوال قرون عدة. إنّ الأندلس أدت دورا كبيرا في نقل التأثيرات المعمارية والفنية الإسلامية إلى أوروبا بصفتها حلقة الوصل بين آسيا وإفريقيا من جهة وبين أوروبا من جهة ثانية، حيث أحسّ الأوروبيون بعظمة الحضارة الإسلامية العربية فأقبلوا على دراستها[١] .

وتركت الروائع الفنية الأندلسية بصماتها على جميع أشكال الفن الأوروبي، وفي مقدمتها العمارة. فبقي هذا التأثير واضحا في ما يتعلق بالعمارة الإسبانية الحديثة ومخلفات

١- كاظم شمهود طاهر، العمارة الإسلامية في إسبانيا: مجريط، (الكتاب الأول)، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص. ١٥.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

«المدجنين» (mudéjares)، وهم المسلمون الذي ظلوا في مواطنهم الأندلسية بعد سيطرة الملوك النصارى على أراضيهم، بينما قررت الأكثرية الرحيل إلى المدن الخاضعة للحكم الإسلامي. ولا غرابة في كون الفن الأندلسي اليوم من المآثر الحضارية التي تعتزّ بها الإنسانية باعتبارها إرثا مشتركا للجميع.

وكان هؤلاء المدجنون أصحاب حرف ومهن وفن وصناعة وزراعة وثقافة، وبرعوا في أنواع فنية متعددة، وكان المهندس المعماري المسلم يسمى العريف، وهي كلمة ما زالت تستخدم في اللغة الإسبانية. وقد استمر للطراز الإسلامي تأثيره البالغ على العمارة النصرانية خلال تاريخ الأندلس. إن تجليات عمارة المدجنين وصلت إلى القرن العشرين وتمثل ذلك في كثير من الأعمال العمرانية منها ساحة مصارعة الثيران في بينتاس بمدريد، ومنجزات المهندس المعماري الشهير أنطونيو غاودي، وساهم الفن الأندلسي ولاسيما المدجن في إنتاج فنّ إسباني حديث يجمع بين الأساليب الحديثة والطراز الإسلامي. وبدأ هذا الأسلوب الحديث في القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين[١]. وفي أيامنا هذه عادت تركة الأندلس إلى الواجهة مع نمو حوار الحضارات، فانتبه الكثير إلى أنماط الأندلس الحضارية ومفهومه المتفتح المثمر، على صعيد التعايش السلمي بين الأديان والاعتراف بالتعددية الفكرية، إلى جانب فضلها الفني على بناء أوروبا الحديثة.

٢. الكتابة العربية وجمالياتها الأندلسية فنيا وحضاريا:

يشهد للأندلسيين اهتمامهم البالغ بالزينة وتزويق مختلف جوانب حياتهم العامة والخاصة، فوجدناهم يعنون بتزيين أنفسهم و»ملابسهم وبيوتهم وحدائقهم وأثاث منازلهم وكتبهم ومكتباتهم وقصورهم وأسلحتهم وقبورهم وجلودهم، وكل ما يمكن أن تصل إليه مداركهم (ويتميز) الخط العربي، بأنواعه المختلفة وتنويعه المتميز، بخصائص تجعله قابلا للاستخدام في الزخرفة والزينة، مثل طواعية حروف الخط العربي

١- كاظم شمهود طاهر،المصدر المذكور، ص.١٧.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

للتشكيل حيث يجد الفنان فيه مجالا خصبا ومتنفسا لانطلاق خياله الفني»[1]، وهي صفة تدل على ذوقهم الرفيع واعتنائهم الشديد بحسن المظهر والبهاء. لذا نلفي الكتابة الزخرفية ذات شأن عظيم في تاريخ الفنون العربية الإسلامية، شرقا وغربا، خصوصا في العمارة الإسلامية لأنها أخذت دور الإبداع والفن والتجميل. إنّ الزخرفة الكتابية تُشكّل»العنصر الأساسي للفن الإسلامي حيث زينت الواجهات الخارجية والمداخل والواجهات المطلة على الصحن في بعض المساجد وجدران الحرم بأنواع عديدة وأشكال مبتكرة من الزخرفة الكتابية»[2]. إنّ الخط العربي يطرح إمكانيات زخرفية متنوعة تضاف إلى أشكال الزينة الهندسية والنباتية، ومن مميزاته تعدد الأنواع كالرقعة والنسخ والكوفي والأندلسي وخط الثلث والتعليق، علما بأن كلها قابلة للتفرع لأنواع أخرى. وهذا يزيد من قدرة الخط العربي على استحداث أشكال مختلفة بالكتابة الواحدة.

وكانت هذه الكتابات تشمل في الغالب آيات قرآنية في أماكن العبادة وقصور الملوك والوجهاء، ولكنها تتضمن أيضا أبياتا من الشعر وأقوالا مأثورة وحكما، وأسماء الأمراء ووزرائهم، ومعلومات متعلقة بتاريخ البناء وظروفه[3]. وإذا كانت الأقطار الإسلامية الرئيسية قد أنتجت نمطها الخاص من الخط (كالعراقي والفارسي والتركي والمغربي وغيرها) فإن الأندلس طورت أيضا مفهومها الخاص للخط، ويمتاز بالأحرف الصغيرة الحجم والضيقة والرشيقة، وبحكم سلاسته وصغره فإنه يسمح بتسطير عدد أكبر من السطور بالقياس إلى خطوط عربية أخرى، وهو أكثر رونقا وقياما من المغربي. وكان الخطاطون الأندلسيون يستعملون أقلاما ذات رؤوس حادة جدا، وبالتالي كان الخط رفيعا ومتماسكا[4]. ومن خصائصه أن يكون السطر العمودي هو

---

١ – مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٩١).

٢– جمعة أحمد قاجة، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص. ٤٠٢.

٣– قاجة، المصدر المذكور، ص. ٤٠٢.

٤– انظر مقالا باللغة الإسبانية حول طابع الخط الأندلسي في:

Torres Santo Domingo، Nuria، Pecia Complutense. 2009. Año 6. Num. 10،“Coranes de la época medieval. A propósito de un fragmento de un mushaf

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عامة أدق من السطر الأفقي. وتتجمع الأحرف القصيرة والمستديرة على شكل كثيف جدّاً، و«تكوّن مجموعات الأسطر غالباً ما تأتي متقاربة، فـ» يـاء «آخر الكلمة توضع نقطة فوق جزئه النهائي بدلاً من أن توضع تحته، تجمع الكلمات هنا أكثر التحاماً منه في القيرواني والفاسي»[١]. وكان في بادئ الأمر الخط الكوفي سائدا ثم توارى لصالح النسخي وتطوراته في عهد الموحدين، غير أن الخط الأندلسي الأصيل حافظ على صلته الوثيقة بالكوفي إلى يومنا هذا.

واليوم ما بقي من حضارة الأندلس إلا القليل، نتيجة للدمار الذي لحق ببعضها جراء الحروب الأهلية والتلف وإصرار الأجيال السابقة (المتعصبة للهوية النصرانية المعادية للإسلام) على محو التراث الإسلامي، أو بسبب استخدامها من طرف الغزاة لإنشاء منشآتهم الخاصة، أو من جراء لا مبالاة السلطات والسكان المحليين الذين تجاهلوا هذه الثروة الهائلة أو عدوها عديمة القيمة. ومع سقوط الثغور والأقاليم الأندلسية الواحدة تلو الأخرى في أيدي النصارى، تحول معظم المساجد والجوامع الإسلامية إلى هياكل مسيحية أو دمرت تدميرا كاملا، في حين حولت أغلبية القصور والديار الرشيقة إلى مساكن خاصة لرؤساء الطبقة الحاكمة الإسبانية. بما أن الحضارة العربية الإسلامية أضفيت عليها وصمة «العدائية» لفترة طويلة جدا من الزمن فإن المؤرخين والباحثين الإسبانيين تعمدوا تجاهل مساهماتها في تشكيل الهوية الحضارية الإسبانية، في خطوة تدل على غياهب الجهل وانغلاق الأفق التي طبقت على تاريخ إسبانيا خلال فترة مديدة. وباستثناء معلمتي قرطبة (الجامع الأموي) وغرناطة (الحمراء) الشاخصتين، فلا تكاد تتوافر لنا مبان إسلامية كاملة أو في حالة شبه كاملة، أما البقايا التي ما زالت تحمل الزخارف الكتابية العربية فهي مشتتة وقيد الانتشال في حالات كثيرة.

- وينبغي بنا إبراز المنشآت الإسلامية الأندلسية التي تم العثور فيها على كتابات

---

de caligrafía magrebí del siglo XIII” ص. ٥٠-٥٦.

١- عبد اللطيف، محمد الصادق، الخط الأندلسي، تاريخ وفكر ومسيرة، متوفر في (تاريخ المراجعة: ١١ أبريل ٢٠١٥)

http: //www.attarikh-alarabi.ma /Html /adad15partie14.htm

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

عربية سواء أكان على جدرانها وسقوفها أم على أدوات مزينة أم مقابر أم مجموعات كبيرة من المسكوكات وما إلى ذلك:

مدينة الزهراء في قرطبة، وتعود إلى المرحلة المعمارية الفنية الأولى في الأندلس، أي دولة بني أمية.

ثلاثة مراكز معمارية عثر فيها على آثار مكتوبة بالعربية هي قلعة "ابن سعد" (مونتياغودو)، و"القصر الصغير (وشُيد على أنقاضه لاحقا دير سانتا كلارا وكان واقعا في ربض الرشاقة بمدينة مرسية) وقرية "السياسة".

القصر في إشبيلية، ويختصّ كما سنتبين بالتلاقح المسيحي العربي لأنه كان في الأصل مسكن الملوك الاسبان بعيد سقوط المدينة في أيديهم، وكان نمط التزيين والتنظيم إسلاميا بالأساس.

الحمراء في غرناطة، وتعد قمة الفن الكتابي (المعماري) العربي في الأندلس.

وبصرف النظر عن هذه المعالم وما تحتوي من زخارف كتابية، نجد بعض الشيء في شرق الأندلس (مدينتي مالقة وألمرية) والقليل في طليطلة ومدريد وسرقسطة (شمال شرقي) وبطليوس (غرب) وغيرها. وانظروا حالة جزر البليار (مايورقا) المتوسطية حيث نعثر على ملامح إسلامية في سكانها وأنماط الحياة لاسيما الزراعية منها، إلا أن المخلفات المعمارية الإسلامية الملموسة لا وجود لها اليوم. وفيما يتعلق بالمنقوشات العربية فهي شبه معدومة، ويعود ذلك إلى تدمير المباني الإسلامية في عصور مضت، فيما تغاضت السلطات المعنية عن التنقيبات والحفريات الأثرية بل سمحت بتلف بقايا بالغة القيمة لو كانو اعتنوا بها لعاونتنا على معرفة المزيد عن أيام العرب في تلك الجزر. وهناك ظاهرة ما زالت تتكرر في أيامنا هذه، وهي ميول أصحاب الأراضي والمباني إلى إخفاء أي بقايا قديمة، سواء أكانت إسلامية أم رومانية أم إغريقية، للحيلولة دون أمر السلطات بالشروع في حفريات خاصة فيها ومنعهم بالتالي من البناء عليها. ولذلك يمكننا القول بأنّ من الأسباب الرئيسية لقلة الآثار الكتابية المنقوشة المتوفرة لدينا اليوم هي التدمير، المتعمد أو العرضي، لهذه الآثار العربية الإسلامية[٢].

٢- انظر عن مصير الآثار الكتابية في جزر البليار المقال باللغة الإسبانية:

Roselló-Bordoy، G.، Corpus balear de epigrafía árabe، Trabajos del museo de Mal-lorca، 1969، pp.5-6.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ تطور الخط العربي في الأندلس

استخدم الخط العربي في التزيين منذ وقت مبكر من الوجود العربي في الأندلس، ولم تقتصر تلك النقوش والزخارف على الآيات القرآنية بل شملت نقش أسماء السلاطين والأدعية والأمثال والحكم وتواريخ إنشاء المباني. وكانت الزخرفة الكتابية في البداية بسيطة لا توريق فيها ولا تعقيد، وكان الخط الكوفي هو الغالب، بعدما توسع غربا من مصر ابتداء من القرن الهجري الثاني، وإن بدأ القسم الشرقي من الدولة الإسلامية أكثر خصوبة في تلك الزخارف من القسم الغربي فإن ذروة مجدها تتزامن مع الازدهار في القطر الأندلسي في القرنين الخامس والسادس. فبلغ هذا الخط مبلغا فنيا راقيا بتشكيلاته وتنظيماته المعقدة المتنوعة، إذ ولّد الخط الكوفي تطويرات متميزة منها التوريق والتشجير وزخرفة نهايات الحروف بما يشبه الفروع عندما تخرج من السيقان أو بزخارف أخرى ورقية الشكل وذات فصوص. وبرع الفنانون العرب في كل من الأندلس والمغرب في استعمال الخط الكوفي المضفر.

وامتازت المرحلة الأموية (الإمارة والخلافة) بسيادة الخط الكوفي المطلقة وتطور الخط الأندلسي المنبثق عنه، وظل سائدا في فترتي الطوائف والمرابطين إلى حلول دولة الموحدين القادمين من جنوب المغرب، وهم من جعلوا الخط النسخي ذا أفضلية في الدواوين والوثائق الرسمية ثم في تزيين المنشآت والأدوات الفنية وإن لم يتخلوا كليا عن الخط الكوفي. وسار بنو الأحمر في غرناطة، آخر معاقل الإسلام العربي في الأندلس، على هذا النمط ولكن دون إغفال دور الكوفي الذي تشبث بمكانته البارزة في تصوير الآيات القرآنية والأشعار والكلام المنمق على الجدران[١].

بالرغم مما آل إليه الأمر في المراحل المتأخرة، يسعنا القول بأن الخط الكوفي ما فتئ يحتل، في مغارب الديار الإسلامية، مركز الصدارة باعتباره الخط العربي الأصيل، وذلك

---

١ – انظر المقال باللغة الإسبانية «النقوش العربية على المباني الأندلسية»(تاريخ المراجعة في ١٠ أبريل/ نيسان ٢٠١٥):

،Martínez Núñez، Mª Antonia، Escrituraárabeornamentalyepigrafíaandalusí

http: / /www.academia.edu /243132 /Escritura_٪C3٪A1rabe_ornamental_y_epigraf٪C3٪ADa_andalus٪C3٪AD

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بفضل إمكانياته الكبيرة للطواعية والزينة، وأنواعه وأنماطه وتفرعاته المختلفة كالمربع ذي الزوايا القائمة والمورق (المزهر) والمضفر، بأشكاله المتنوعة من التجديل والتشبيك والتزيين. وفي كل من الأندلس وشمال إفريقيا بات الخط الكوفي يهيمن وحده على العمارة حتى القرن السادس للهجرة، بعد أن كان قد وصل إلى الكمال في القرن الثاني للهجرة في جامع القيروان بتونس[١]. وعلى نقيض ما حصل في أنحاء متفرقة من الديار الإسلامية الشرقية مثل إيران أو تركيا، فإن الخط النسخي لم يتمكن من إزاحة الكوفي في الأندلس، وإن استحال المنازع الرئيسي له. وكان الأول بارعا في الميول والتدوير بينما الثاني رائع في هندسيته واتزانه النسقي.

ثمة، على كل حال، ممالك أندلسية سبقت الموحدين إلى اتخاذ الخط النسخي خطا رسميا، من ضمنها دولة ابن مردانيش في مرسية في القرن السادس للهجرة، ومن ثم الأمير ابن هود المتوكل. وكانت الأراضي الأندلسية، اعتبارا من ذلك القرن، قد تأثرت بالخط النسخي بعد أن عمد الخطاطون العرب أيام سلالة الخراسانيين في تونس (٤٨٨- ٥٥٥ هـ/ القرن الثاني عشر م)، ومعظمهم من الأندلسيين، إلى الابتعاد عن الكوفي[٢].

وبعد الآيات القرآنية، ينعم الشعر بمكانة بارزة بين تلك النقوش والزخارف، ربما لأن الشعر، بصفته واحدا من الفنون الراقية، يصلح أن يكون تعبيرا جميلا عن المعاني التي يتضمنها النقش، وقد يقصد من استخدامه أيضا مدح الحكام وتأدية وظيفة سياسية تتعدى حدود الهدف الزخرفي البحت. وللأسف الشديد لم يصلنا سوى النزر اليسير من تلك الأشعار المنقوشة أو المنحوتة أو المحفورة أو المطرزة، ولولا المصادر الأدبية الأندلسية وإشاراتها إلى القصائد والمقطوعات الشعرية التي قيل إنها نقشت على أدوات وآلات متنوعة لكنا اليوم في غفلة من أمرها.

١- قاجة، الموسوعة المذكورة، ص. ٤٠٣.

٢- انظر مقالا باللغة الفرنسية عن إدخال الخط النسخي في إفريقيا (تونس) ومن هناك المغرب العربي ثم الأندلس في:

Ben Romdhane، “A propos de l´apparition du naskhiofficiel en Occidentmusulman”، Mélangesd´Archéologie، d´epigraphie et d´histoireoffets a SlimaneMustaphaZbiss، .InstitutNational de Patrimonine، Tunis، 2001، pág. 51

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

٣. الكتابات الزخرفية على المساجد والمباني المدنية

شهدت العمارة الإسلامية في الأندلس مراحل مختلفة من التطور والنمو نتيجة لثلاثة عوامل رئيسية: ١) المستجدات القادمة من المشرق، سواء أكان من دمشق أيام بني أمية، أو من بغداد في العصر العباسي ٢) تطور الأنماط والأساليب الأندلسية المحلية، وتأثرها بالنزعات المغاربية ٣) احتكاكها بأوروبا، وما تحويه الأخيرة من تراث روماني وإغريقي عريق.

وكانت المراحل الأولى ذات طابع شرقي عربي إسلامي خالص، كما هو ماثل في مسجد قرطبة وغيره، ثم جاءت مرحلة أخرى برز فيها طراز جديد يسمى طراز المدجنين، وهو مزيج من الطراز الإسلامي وبعض العناصر المعمارية الرومانية والمسيحية، وهو أحد الأنواع الفنية الإسبانية الخالصة كما أسلفنا[1]، وبعدها تأثرت الفنون الإسلامية بالنماذج المغربية أكثر من أي وقت مضى بحكم هيمنة المرابطين ومن بعدهم الموحدين على شبه الجزيرة الإيبرية، ولكن الفنون المعمارية المحلية لم تفقد قط رونقها الأندلسي المتميز.

وكان المسلمون يستخدمون في البناء مواد رخيصة ومحلية ولكن قوية ومقاومة، لها ديمومة كما لها إشراقة وزخرفية جذابة. والملفت للنظر أن بعض الكنائس القديمة، في مدريد العاصمة نفسها وغيرها، لها مظهر مسجد، ولا غرابة في الأمر إذ إنها كانت مساجد في الأصل ثم حُوّلَت إلى معابد نصرانية مع البقاء على هيكلها المعماري العام، وإضافة بعض الزخارف والصور الدينية أو إضافة مرافق معمارية أخرى. ونصادف في مدينة طليطلة غلبة الآجر والدبش المحاط بمداميك، ويظهر أن أولى المساجد الموجودة فيها أقيمت من الحجارة وأحيانا من الدبش المصحوب بكتل الحجارة، و«إن قبلنا بأسبقية الحجارة كمادة بناء في الهياكل القوطية ومن بعدها الإسلامية الأندلسية خلال المرحلة الأولى على الأقل، فإننا نصادف أحيانا مساجد شيدت بالآجر وبعض المداميك، كما انتفع العرب عند إنشاء مساجدهم الجديدة بالكتل الحجرية المأخوذة من دور العبادة القوطية»[2].

١- كاظم مشهود، المصدر المذكور، ص. ١٨-١٩.

٢- بابون مالدونادو، باسيليو، عمارة المساجد في الأندلس. طليطلة وإشبيلية، أبو ظبي، كلمة، ٢٠١١، ص. ٢٢.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ جامع قرطبة الأعظم

يحتوي هذا المسجد الباهر الحسن والجمال، وإن حول جزء كبير منه إلى كاتدرائية مسيحية، على نقوش كتابية فريدة من نوعها، لاسيما المحراب الذي لا يزال مكتنزا بكل نقوشه وألوانه، وواجهته لا تقبل المقارنة مع أي محراب، وذلك بفضل كسوتها الفسيفسائية الجميلة وزخارفها الدقيقة المحفورة على الرخام والحجارة. ولا مناص من إبراز»الكتابات الكوفية المحيطة بقوس المحراب وهي على نوعين، شريط أفقي مكتوب بحروف زرقاء على أرضية ذهبية، وشريط مرسوم في الإطار المستطيل الشكل ومكتوب بحروف ذهبية على أرضية زرقاء»[1]. كما نجد في المحراب - وتم تشييده أيام الحاكم المستنصر بالله - آيات قرآنية من سور مختلفة بالإضافة إلى سؤال الله أن ينصر الخليفة الأموي إسوة بذكر حاجبه جعفر بن عبد الرحمن، المتوفى بعد انتهاء أعمال البناء. ويزدان المحراب والقبلة بكتابات وترقينات خطية بالغة البهاء والحسن، ولكن الإضافات الكثيرة وما أصاب بعض الأجزاء من التلف والتهدم تحُول دون التدقيق في تأريخ الإنشاء وترتيب مراحله[2]. ومن نافلة القول أن الكتابات المنقوشة على جدران الجامع القرطبي لهي من روائع فنون الرقش الخطي بل تمثّل قمة الخط الكوفي المعماري في الإسلام.

■ ذروة التزويق الخطي: الحمراء نموذجا

عني ملوك بين الأحمر (الفترة النصرية) كثيرا بنقش الأشعار في جدران الحمراء وطيقانها وقبابها ومداخلها، إلى جانب الآيات القرآنية والأدعية وأسماء الملوك وشعارهم الشهير «لا غالب إلا الله». ويشار هنا إلى أن الشعارات العائلية كانت ذات

١- قاجة،موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص. ٩٤.

٢- انظر بهذا الخصوص:

Ocaña López، Manuel، "Las inscripciones en mosaico del mihrab de la Gran Mezquita de Córdoba y la incógnita de su data"، في كتاب «الفسيفساء في جامع قرطبة» Les Mosaiques de la Grande Mosquee de Cordoue، Henri Stern، برلين، والتير دي غرويتير، ١٩٧٦، ص. ٤٨-٥٢.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

حظوة في مناطق أندلسية سبقت إمارة غرناطة كما في مقاطعة مرسية (شرق إسبانيا) في عهد ابن مردونيش مؤسس أسرة مالكة حكمت مرسية لفترة قصيرة جدا (١١٤٧-١١٧٢م) قبل سقوطها بأيدي الموحدين، وكان شعاره «اليمن والإقبال»[١].

طالب هؤلاء الأمراء «شعراء البلاط»، وكان بعضهم قد تولى مناصب وزارية عالية، بنظم القصائد والمقطوعات لكي تنقش على الحيطان، كما فعل يوسف الثالث، الذي نظم الشعر هو أيضا، مع شاعره ابن فركون، أو الغني بالله محمد الخامس مع ابن الخطيب أو يوسف الأول مع ابن الجياب. وكان من وراء قصدهم غايات جمالية بحتة (تزيين القصور والمباني) وسياسية (تخليد أمجاد بني الأحمر والتأكيد على واجب الذود عن الديار الإسلامية)، في وقت كانت الجيوش المسيحية تزحف فيه نحو غرناطة للقضاء على آخر معاقل الإسلام في جنوب أوروبا. ويفهم من مضامين النقوش الشعرية وأسماء السلاطين المذكورة فيها أن أولاها عائدة إلى فترة محمد الثالث(٧٠١ -٧٠٨ه/ ١٣٠٩-١٣٠٢ م) ولكنها كثرت في أيام كل من أبي الوليد إسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥ه) وأبي عبد الله الغني بالله محمد الخامس بن يوسف (٧٥٥-٧٩٣ه).

ويصل عدد القصائد والمقطوعات المتبقية في قصور الحمراء وجنة العريف إلى نحو اثنتين وثلاثين قصيدة ومقطوعة وخمسة أبيات مفردة، يبلغ مجموع أبيات هذه القصائد والمقطوعات نحو مائتين وستة وعشرين بيتا، تتوزع في خمسة مواضع رئيسية، ومن المرجح أن يشكل ما نشاهده اليوم ثلث النقوش الكتابية الأصلية إذا أخذنا بعين الاعتبار المراجع والمصادر الأدبية التي تعدد الأبيات المنقوشة[٢]. والشعراء أصحاب الأبيات هم ابن زمرك (وهو الأكثر حضورا) وابن الجياب وابن فركون وابن الخطيب، الذي لم يبق له سوى قلة من المقطوعات، يزاد إليهم شعراء آخرون لم تتبين أسماؤهم.

١- في ما يخص هذه النقوش الكتابية في مرسية انظر:

Martínez Enamorado، Virgilio، Inscripciones árabes de la región de Murcia، Gobierno de Murcia، 2009، pág. 29

٢- الجرار، صلاح، ديوان الحمراء، الأشعار العربية المنقوشة في مباني قصر الحمراء وجنة العريف في غرناطة، الحمراء،بيروت، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩، ص. ٢٨-٣٠.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إن بعض النقوش انمحت أو بهتت بسبب تعرضه لمجموعة من العوامل التي ترجع للطبيعة وللناس. وهناك أبيات كتبت على قطع خشبية تفصل بين الجدران والأسقف وهي تميل إلى السواد بحكم مرور الأزمنة. وثمة أماكن تعرضت للترميم وأزيلت منها مؤقتا الأشعار ثم، عند إرجاعها، لم يتم إيصالها بالطريقة السليمة. ويغلب عليها الخط الأندلسي، غير أن بعضها بالخط الكوفي. وقد اتخذت الأبيات أشكالا وصورا مختلفة، ففي بعضها «نجد الأبيات مستقلة من دون فصل بين شطري البيت، وهذا النوع هو الأكثر انتشارا، ونجد أحيانا قصيدة منقوشة بين يدي قصيدة أخرى ومتداخلة معها»[1].

وترقى كل هذه الكنوز الفنية والشعرية بالحمراء إلى مرتبة «الصرح الناطق» أو «الآلبوم الشعري» كما وصفه المستعرب الإسباني الشهير إميليو غارثيا غوميث، الذي أقدم على نقل تلك الأبيات إلى الورق وترجمتها بالإسبانية. وتعجب الرجل من هشاشة المواد المستخدمة لبناء الحمراء وبقائه، رغم ذلك، على مدى العصور،إذ يظهر أن الأندلسيين لم يعتنوا بالمقومات البنائية المتينة والرصينة التي تضمن استمرارية منشآتهم بقدر ما اعتنوا بالجمال والتزويق الشكلي، وهو ما يزيد من التعجب والانبهار[2].

تأصيل التزويق الكتابي في الفن الأوروبي

– اتخذ الملوك والأساقفة والنبلاء النصارى الأوروبيون النقوش الكتابية التي تدعو إلى الرحمة والمغفرة، والتي كانت توجد في المساجد والقصور العربية، في قصورهم الجديدة وفي العمارة الدينية، وإلى جانب الأندلس فإن خير مثال على ذلك : معالم الفن النورماندي في جزيرة صقلية الإيطالية التي كانت إمارة إسلامية قبل سقوطها في قبضة هؤلاء. وهكذا يظهر لفظ الجلالة في دور العبادة المسيحية وكذلك اليهودية، ثم في الأقمشة المخصصة للموتى (الأكفان) وفي ملابس الأساقفة ورجال الدين المسيحي. ولا نبالغ إن قطعنا بأنه، ابتداء من القرن الرابع عشر ميلاديا على الأقل، كانت الزخارف الجصية والأخشاب من الحقول التي تقتصر على الفنانين المسلمين العاملين في المدن

١– الجرار، المصدر المذكور، ص. ٣١.

٢– انظر غارثيا غوميث، إيميليو، أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء، مدريد، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، ١٩٨٥، ص. ٢٤.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الأوروبية الجنوبية. ونلاحظ كذلك تعايشا للخط اللاتيني والعبري والإغريقي مع العربي في دور عبادة يهودية ونصرانية في الأندلس، وتحتوي عادة على لفظ الجلالة[1].

وعمد الملوك النصارى في أعقاب سيطرتها على الوادي الكبير في قرطبة وإشبيلية في القرن السادس للهجرة، على تطعيم زخارف مساكنهم ومقتنياته بالعبارات والجمل العربية. ونجد الظاهرة ذاتها في كنائسهم ومعابدهم، ومعظم هذه الكتابات هي أدعية وابتهالات وتبريكات. مثال على ذلك دير «لاس هويلغاس» في مقاطعة بورغوس (قشتالة) المقام السنة ١١٨٧ للميلاد على يد الملك ألفونسو السابع، ونصادف فيها عبارات من قبيل «اليمن والإقبال» و«الشكر لله» و«البركة». ومن رواد التعلق بالفنانين المسلمين وخصوصا الخطاطين منهم الملك القشتالي بطرس الأول (الملقب «بالظالم»)، صاحب قصر إشبيلية الواسع الصيت، والذي اشتهر بروابطه الوثيقة بالثقافة العربية واعتزازه بها. والمثير للاهتمام أن ذلك الملك النصراني اعتمد الشعارات الدينية التوحيدية الإسلامية لإضفاء «شرعية إلهية» على ولايته، بصرف النظر عن كونها إسلامية المصدر، وذلك لأنه لم ير أي غضاضة في تبنيها لعدم تناقضها والعقيدة المسيحية الأصلية الداعية إلى الإيمان بإله واحد. ومن تلك العبارات «العزة لله والبقاء لله والملك لله والقدرة لله»[2]. إلا أننا نصادف كذلك نقوشا كتابية في عدد من الهياكل المسيحية، كما في دير لاس هويلغاس الآنف الذكر، تتضمن مصطلحاتها ذات الطابع الإسلامي تتعارض والعقيدة المسيحية (وهي عبارات تبتعد غالبا عن العقيدة المسيحية بشأن ربانية المسيح)، والمرجح أن تكون من تأليف فنانين مدجنين تلافوا مراقبة الكهنة النصارى[3]. وسنرى عما قليل أن الفنون الإسلامية الأندلسية ترصعت أيضا في بلدان

١- مالدونادو، باسيليو، المصدر المذكور، ص. ١٣٩-١٤٦.

٢- انظر مقالا باللغة الإسبانية حول افتتان الملوك النصارى بالخط العربي

Marquer، Julie، "Epigrafía y poder: el uso de las inscripcionesárabes en el proyecto-propagandístico de Pedro I de Castilla (1350-1369)»، Revista E-Spania، 13.2912-06.

http: //e-spania.revues.org/21058 ; DOI : 10.4000/e-spania.21058

٣- انظر المقال باللغة الإسبانية حول فن الموحدين في الأندلسي :

Ocaña Jiménez، Manuel، « Panorámica sobre el arte almohade en España »، Cuadernos de la Alhambra، 26، 1990، p. 91-111، p. 107-108.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أوروبية أخرى، ولذا نجد الفن العربي في أعمال بيزنطية، ولدى رسامين بدائيين إيطاليين وفنانين من العصور الوسطى والنهضة، ونلاحظ أمثلة متفرقة في مباني نصرانية عدة كما في كاتدرائية ميلانو (خزانة الألبسة) و«على عقد أحد الأبواب وحل رأس السيد المسيح وفوق أبواب كنيسة القديس بطرس... ونرى نجمة داود، وعربية بخط كوفي على مقعد رخامي في البندقية يظن أنه من أعمال البلد نفسها أو من أعمال صقلية»[١]. كما نلاحظ كتابات عربية على صحن وجد في مدينة رافان الإيطالية يعتقد أنه استعمل في خدمة القداس وعليه صليب وعبارة «ونحمد الله على ما نأكل») بخط كوفي[٢].

■ النقوش العربية على اللحود وشواهد القبور

وتعتبر الأضرحة وشواهد القبور ذات أهمية قصوى بالنسبة لدراسة النقوش الكتابية العربية بعد أن انتشرت في العالم الإسلامي عادة النحت على الحجر والرخام بغية تسجيل عبارات رثائية تخليدا لذكرى المتوفى ولم تكن النصب التذكارية من شواهد القبور الأندلسية التي عثر عليها في إسبانيا شحيحة، بل العكس صحيح، إذ تشكّل المخزون الكتابي الأكثر غنى المتوفر لدينا اليوم، بعد النقوش الكتابية المعمارية. إن البقايا الجنائزية تقدم لنا عونا كبيرا في ميدان تصنيف وترتيب مراحل الخط العربي في الأندلس واتجاهات الرقش الجمالي لأنها تتضمن تواريخ وأسماء وأماكن على خلاف بقايا كتابية أخرى.

وصار نقش الأشعار على مقابر السلاطين والقادة والأمراء والمشاهير تقليدا يعتد به منذ وقت مبكر في الأندلس ولكنه لم يستحل عادة رائجة عند الناس إلا في أواخر الإمارة الأموية. وترسخت هذه العادة في المقابر الأندلسية العامة والخاصة «الرياض»، وتمت إقامة شواهد منحوتة بالزخارف والمواد الثمينة وكذلك قباب وأتربة تودع فيها رفات أبناء السلالات الحاكمة والعائلات الراقية[٣]. وتذكر لنا المراجع الأندلسية أخبارا عن

١- البهنسي، المصدر المذكور.

٢- قاجة، الموسوعة المذكورة، ص. ٤٠٥.

٣- انظر (تاريخ المراجعة: ٢٣ ماس/ آذار ٢٠١٥).

Núñez،Mª Antonia، « Epigrafíafuneraria en al-Andalus (siglos IX-XII) »، Martínez Mélanges de la Casa de Velázquez [En ligne]، 41-1 | 2011، mis en ligne le 27 juin 2013،

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بعض القبور الشهيرة بكتاباتها مثل قبر القائد العسكري المعروف المنصور بن أبي عامر (ت. ٣٩٣ للهجرة). وتشير تلك المصادر التاريخية إلى أشعار يتم نقشها على القبور بعد وفاة الشخص وتقديرا له، وهو الديدن الأكثر شيوعا بطبيعة الحال، ولكن هناك شعراء نظموا أبياتا تأبينية قبل وفاتهم ثم طالبوا بتسطيرها على قبورهم رثاء لهم. وكانت هذه العادة ذائعة لدى الأدباء الأندلسيين من أمثال أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت. ٥٩٥ ه). ويبرهن اعتناء الأندلسيين بفنون الدفن وتزيين قبورهم بالترنيق والرقش على افتخارهم بجماليات الخط العربي، وذلك على الرغم من أن الشعائر الجنائزية الإسلامية تتحفظ على الزينة في المقابر عملا بالحديث النبوي الشهير بشأن تسوية القبور والبناء عليه ووجوب تمييز موقع الدفين بمعالم بسيطة أو حجارة غير مسطرة، بيد أن الأندلسيين ربما فسروا هذه التعليمات على أنها تحظر البناء وليس التفنن في الترنيق.

إنّ جزءا كبيرا مما وصل إلينا من الآثار الكتابية الأندلسية عائد إلى شواهد وألواح تذكارية ونقوش على قبور بعض الأعيان. وكانت المادة المستعملة في هذه التحف هي الرخام والخزف والأردواز، ولدينا في بعض الأحيان مواد أعيد استخدامها وهي من عصور سبقت الفتح العربي الإسلامي كأحجار رومانية وقوطية، كما هو الحال مع قبر الملك عبد الله بن مسلمة المنصور(ت.٤٣٧ للهجرة)[١] مؤسس طائفة بني الأفطس في بطليوس (مدينة باداخوث اليوم). وثمة آثار ترجع إلى عهد الموحدين كالمقبرية الرائعة التي عثر عليها في مدينة مالقة وتم حفرها في السنة ٦١٨ ه[٢].

وسبق العثور في مدينة ألمرية (شرق الأندلس) على كم وفير من النقوش الكتابية الأندلسية فهي غنية بالبقايا والآثار من هذا النوع بالقياس إلى محافظات أخرى كانت

---

http: //mcv.revues.org/3907

١- انظر بشأن محتويات المتحف الأثري في مدنية بطليوس:

Martínez Núñez، María Antonia، Epigrafía árabe del museo arqueológico de Badajoz، Museo arqueológico de Badajoz، 2013، ص. ٣ و ٤

٢- انظر ما يحويه متحم مالقة للآثار الإسلامية من بقايا قبور إسلامية في:

AciénAlmansa، M.yMartínezNúñez، Mª A، Catálogo de las inscripcio-nesárabes del Museo de Málaga، 1982.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تخضع للسلطة الإسلامية. وقدمت لنا الحفريات المنجزة هناك عينات قيمة جدا يتمثل معظمها في شواهد ومخلفات القبور المنقوشة، مما يتيح لنا فرصة التعرف على تطور الخط الكوفي في الأندلس بعد سقوط خلافة بني أمية[١]. وشهد فن النحت الجنائزي هو الآخر اندفاع الخط النسخي مع اجتياح الموحدين للأندلس، إلا أن الخط الكوفي ظل حاضرا ولكن بطريقة تشدد على تعقيداتها الزخرفية من التشكيل والتزهير إلى التضفير[٢].

■ الكتابات على القطع الفخارية والسلاح والآلات المعدنية وما شابه

وشاعت كذلك الكتابة على السيوف وأغمدتها والأسلحة كافة، وهي في الغالب شعارات أو أبيات شعر يقصد بها إلهاب مشاعر المحاربين وزيادة حماستهم للقتال، ويتميز الأدب العربي القديم بقصائد ملحمية تمجد المروءة والشجاعة والكرامة في آن واحد، والمراد بنقش هذه الأبيات اختصار المسافة بين القول المتمثل بالشعر والفعل المتمثّل بالحديد. ويقبل السياح اليوم بشغف على شراء خناجر طليطلة الشهيرة «الغوميا» وهي تحوير للكلمة المغربية «الكمّية» بضم الكاف لأنها كانت تخبأ في كم الملابس. وتباع هذه الخناجر في دكاكين طليطلة المعاصرة ومما يزيد من انجذاب الأجانب إليها الأحرف العربية المنقوشة على مقابضها وحدائدها الفضية أو النحاسية. كما جرت العادة على تسجيل الأشعار على الأقواس والأتراس والسكاكين والأقلام والمقالم الفضية، وهي نقوش تحدثنا عنها الكتب الأندلسية كـ«الإحاطة» للسان الدين ابن الخطيب و«نفح الطيب» للمقري والدواوين الشعرية، ولم يتبق منها سوى النزر

١- انظر في تاريخ مدينة الرمية (شرق الأندلس) فهرست الموجودات الأثرية الإسلامية المودعة متحفها الإقليمي:

Ocaña Jiménez، Manuel، Repertorio de inscripciones árabes de Almería، Madrid-Granada، Consejo Superior de Investigaciones Científicas، 1964.

٢- انظر في شأن الكتابات الجنائزية في الأندلس (تاريخ المراجعة: ٢٣ مارس/ آذار ٢٠١٥)

A Mª، Núñez Martínez، « Epigrafíafuneraria en al-Andalus (siglos IX-XII) »، Mélanges de la Casa de Velázquez [En ligne]، 41-1 | 2011، mis en ligne le 27 juin 2013، http://mcv.revues.org/3907

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اليسير. وحدا بالأندلسيين افتتانهم بالزينة إلى سطر الخط العربي على عدد لا يحصى من الأدوات المعدنية والخشبية منها الكراسي والسطول والأباريق والمراوح والأقداح ومراشم الخبز وغيرها[1].

وقام الحرفيون الأندلسيون بنقش زخارف خطية جميلة على المحابر ووحدات القياس وصناديق حفظ نسخ القرآن الكريم والأسطرلابات المصنوعة من مختلف أنواع الخلائط المعدنية. ويبرز هنا اسم إبراهيم بن سعيد السهلي الوزان، الرياضي الخبير في علم الفلك صاحب أحد أوائل الأسطرلابات الكروية (المؤرخ في ٤٧٣ هـ)، ويُحفظ هذا الأسطرلاب في متحف تاريخ العلوم بفلورينسا الإيطالية[2]. وأنتج السهلي كذلك أسطرلابات رائعة أخرى توزعت على مجموعة من المتاحف في مدريد وباريس، ومن المرجح أن يكون السهلي قد صنع آلاته هذه في مدينتي بلنسية وطليطلة وتحمل نقوشا كتابية تؤرخ عملية الإنتاج. وتوفر لنا النقوش الواردة على الآلات الفلكية والهندسية التي برع الأندلسيون في تصميمها معلومات دقيقة تساعد في حسن استعمال الأدوات المخصصة للحساب أو القياس وهكذا. ولكنها تحتوي أيضا على عناصر جمالية وزخرفية تزيد من أبهتها.

ولعل من أقدم النقوش الشعرية في الأندلس تلك الأبيات التي كتبها عباس بن فرناس (ت. ٢٧٣هـ) المولود في رندة (مالقة) على الآلة المعروفة آنذاك باسم «الميقاتة» وهي ساعة مائية. كما اخترع هذا العالم المبدع الذي يذكره الكلّ بهوسه بالطيران أول قلم حبر في التاريخ. وكان من ديدن الفلكيين والعلماء نقش المصطلحات الوقائية والطلاسم على آلاتهم، لتمجيد الباري الأعظم والدعوة للتوفيق في الاستفادة من تلك الآلات. وكثيرا ما زينت المجوهرات بعبارات مكتوبة تمثل أشعارا أو أدعية دينية تحمل بين جنباتها التسابيح. ولكن في حالات أخرى كان الأمر يتعلق فقط بتوقيع الفنان

١- جرار، الموسوعة المذكورة، ص. ١٨-١٩.

٢- بشأن أسطرلابات السهلي المودعة المتاحف الأوروبية انظر:

Cerrato Ramas، Luis، “El valor del objeto musulmán en Italia. La colección de los museos de Florencia”، en Arte y Cultura. Patrimonio hispanomusulmán en al-Andalus، Universidad de Granada، ٢٠٠٩، ٤٥٤ص .

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أو ذكر محل الصنع. وكانت النقوش المكتوبة تصنع على النحاس وكذلك على الفضة والذهب وخلائط معدنية أخرى كانت مطلية بالميناء أحياناً، ولكن أروعها كانت تلك المنقوشة على الفضة.

أما الخزف فنلفي الرقش الكتابي منقوشا عليه بغزارة لاسيما على القطع المسماة بالـ«زُلَيّج» وهي كلمة مأخوذة من الفارسية «لازورد». هذا وما زالت صناعة الزليج حاضرة في عدد من المناطق الإسبانية الحديثة. إلى جانب التراكيب الفسيفسائية، كان للأندلسيين مراكز كثيرة لإنتاج الخزف أولها الزهراء بقرطبة وإلبيرة بغرناطة في القرن الرابع الهجري، ثم مصانع طريانة قرب إشبيلية. ثم اشتهرت مالقة بالخزف ذي البريق المعدني أكثر من سواها بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، وكذلك مدينتا بلنسية وغرناطة[1]، وما زالت صناعة الخزف قائمة في الأخيرة وهي تحاكي الأنماط الزخرفية العربية الأصيلة. وبرع الصناعيون المسلمون في الأندلس في تزيين القطع الفخارية بالخط العربي الباهر وغالبا ما كان الكوفي، و«لكن هذا لم يمنع من تناغمه مع النسخي (الثلث) على الحجر المحفور والخشب المنقور والجص المنقوش والمعدن المكفت والخزف الملون، ثم ينتشر كل على حدة، أو يتوزعان الأدوار على القباب والمآذن والمداخل والمحاريب، والإزارات والبرك والشبابيك والأبواب وتيجان العمدة ومصاريع الخزائن»[2]. ويجب أن نخص بالذكر الخزف ذا اللونين الأخضر والمغنيزي الموجود بمدينة الزهراء في قرطبة أو ذا البريق الذهبي في باتيرنا (بلنسية) وغرناطة[3]. وكان للنقش على القطع الفخارية أغراض سياسية دعائية واضحة كما في حالة شعار بني أمية «الملك لله» أو في حالة شعارات الموحدين وبني الأحمر وغيرهم.

■ الكتابات العربية على المسكوكات

عمد العرب أثناء السنين الثلاث الأولى بعد الفتح إلى ضرب عملاتهم المعدنية

١- قاجة، موسوعة الفن العمارة الإسلامية، ص. ٤٠٥.

٢- قاجة، المصدر المذكور، ص. ٤٠٤.

٣- قلم. فن الكتاب، الرباط/ بلنسية، مطبع بيرنيتا، ٢٠١٠:«النقوش الكتابية في الفن الإسلامي»، (مقال تحرره المؤسسة الثقافية الإسلامية، مدريد) ص. ١٤٣-١٤٤.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

بالأحرف اللاتينية، وهي اللغة التي كتبت بها الشهادة والسنة الهجرية. ثم أصدرت السكك باللغتين العربية واللاتينية، في سنة ٩٨ للهجرة/ ٧١٦ للميلاد، وتظهر فيها للمرة الأولى كلمة «الأندلس» اصطلاحا على شبه الجزيرة الإيبرية. وكانت المسكوكات تضرب أيضا في ديار الأمويين الأصلية في الشام ثم تصدر إلى الأندلس، وهكذا دخل إليها الدينار والدرهم كما صمما عقب الإصلاحات الإدارية لعبد الملك بن مروان «المؤسس الثاني للدولة الأموية». وكانت هذه السكك البدائية تضرب في كل من إشبيلية وقرطبة، إلا أن الأخيرة أصبحت مقر السك الأساسي في سنة ٩٨ للهجرة، ثم مع نشوء دولة بني أمية في ١٣٨ للهجرة(٧٥٥ م) ولغاية انتقالها إلى الخلافة في ٣٠٠ للهجرة(٩١٢ م).

وعمل عبد الرحمن الداخل على توحيد جميع وظائف الدولة ومؤسساتها بما فيها دار السكة التي اتخذت قرطبة مقرا لها، وصارت الدار الوحيدة الناشطة في أيام الأمويين الأندلسيين كلها. واحتفظ الأمراء الأندلسيون بالشعارات والأنظمة المتبعة عند الدولة الأموية في دمشق، من التمسك بمضمون آية الإخلاص إلى الشهادة، وذلك ردا على تربع بني عباس على مقاليد السلطة في المشرق وإدخالهم تغييرات جسيمة على نظام الضرب والشعارات المستعملة.

كما أبقى بنو أمية في الأندلس على النظام الثلاثي من حيث المعادن المستخدمة في عملية ضرب المسكوكات، الذهب والفضة والنحاس. وكانت المسكوكات النحاسية تعتمد على النموذج البيزنطي «الفلوس»، وكانت كثيرة الرواج أثناء المرحلة ما قبل الأموية «عهد حكام الثغرات» والإمارة الأموية نفسها إلا أنها توارت عن الأنظار مع حلول دول الطوائف ثم عادت إلى الدوران مع سلاطين غرناطة بني الأحمر الذين استأنفوا ضربها. ولم يعقد الباحثون والمختصون بعلم المسكوكات عزمهم على دراسة هذه القطع المعدنية لأنها لا تحتوي على ما تحتوي عليها الدراهم والدنانير من المعلومات والكتابات[١].

وأبى الأمراء الأمويون إيراد أسمائهم وألقابهم على العملات المعدنية، لعدم محاكاة تقاليد بني عباس في دار السلام وكذلك الفاطميين في مصر، أي ألد أعدائهم في تلك

١- بشأن المسكوكات النحاسية انظر:
Frochoso Sánchez، R.، Los feluses de al-Andalus، Córdoba، Tipografía católica،
٢٠٠١، ص. ١٠.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الفترة، إلا أن عبد الرحمن الثالث مؤسس الخلافة الأموية في ٣٠٠ هـ/ ٩١٢ م أدخل اسمه بجانب شعار جديد ظل قائما طوال الخلافة برمتها وهو «الإمام الناصر لدين الله.... أمير المؤمنين»، مع تغيير اسم الخليفة المعني ثم الشهادة على ظهر العملة. وزوقت السكك بالزخارف التوريقية والزهرية وأضيفت لاحقا أسماء «أصحاب السكة» المشرفين على مهام ضرب العملة ومن ثم أسماء الحجاب. واستؤنف خلال هذه المرحلة ضرب المسكوكات الذهبية، أي الدنانير، بعد أن كانت الفضة هي المادة الوحيدة المعتمد عليها. مع ذلك، لم يزل الدرهم هو السكة الأكثر رواجا. وصارت السكك الأموية هي عملة الجواز عند الممالك المسيحية الواقعة شمال الثغرات الأندلسية وهي المفتقرة أصلا إلى نظام متطور للسك.

تعددت ديار السكة إبان فترة دول الطوائف (٤٠٣-٥١٣ هـ) المنبثقة عن انهيار الخلافة الأموية في قرطبة، وأهمها في بطليوس وإشبيلية وطليطلة وبلنسية ومالقة، وكانت مسكوكات فترة الطوائف تتقيد بالطراز الشكلي الأموي. بيد أن هناك أمراء ضربوا السكك بأسمائهم وألقابهم مثل عدد من ملوك طائفتي طليطلة ومالقة، في حين أبقى غيرهم على لقب الخليفة الأموي الأخير، هشام المؤيد بالله وقد قتل في سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م، وذهب البعض الآخر إلى إيراد اسم «الإمام عبد الله» في إشارة غامضة إلى الاعتراف بسلطة الخليفة العباسي في بغداد، كما فعل بنو عباد في إشبيلية بعد إحجامهم عن ذكر اسم الخليفة هشام. وهناك من أطلق على نفسه لقب الخليفة ومن ضمنهم بنو حمود في مالقة وبنو زيري في غرناطة.

أما المرابطون المغاربة الذين هزموا الملك النصراني ألفونسو السادس في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ للهجرة وقضوا على دول الطوائف فآثروا ضرب الدينار الذهبي ذي المعيار الدقيق المستخرج من معادن سجلماسة الخالصة الجودة والنقاء، وهي الميزة التي ارتقى بها إلى صدارة العملات المعدنية السائرة في تلك الأيام. وما فتئت النقود المعدنية للمرابطين تذكر اسم «الإمام عبد الله» ولكنها كانت تشير هذه المرة، على خلاف ما كان عليه من غموض في الشعار ذاته أيام الطوائف، إشارة صريحة إلى الخليفة العباسي في بغداد، وإن أدخل الأمراء المرابطون ألقابهم الخاصة من أمثال يوسف بن تاشفين والآية «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران، ٨٥). وأدخل المرابطون عملة القيراط الفضية المعادلة لنصف الدرهم، واحتفظوا بالخط الكوفي مع

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إدخال النسخي في آخر دولتهم وقبل رحيلهم عن شبه الجزيرة الإيبرية في ٥٤١ هـ[١].

كما أسلفنا في قسم النقوش الكتابية فإن وصول الموحدين أدى إلى تغييرات جسيمة في نظام الأنشطة الحضارية في الأندلس عامة وفي مضمار ضرب السكك على وجه الخصوص، فلم تعد المسكوكات تذكر تاريخ السك ونادرا ما تبين محل بيت السك. كما أضيف إلى شعار القطع المعدنية الأولى ذكر «المهدي» (ابن تومرت مؤسس مذهب التوحيد جنوب المغرب)، ثم وردت أسماء السلاطين الموحدين مثل أبي يعقوب يوسف أو أبي يوسف يعقوب أو محمد بن يعقوب. وكان الموحدون قد حلوا في مدينة سبتة المشرفة على مضيق جبل طارق في ٥٤٢ هـ، ثم انتقلوا إلى سائر أعمال الأندلس حيث بقوا متسلطين إلى هزيمتهم على يد الملك النصراني ألفونسو الثامن في معركة حصن العقاب سنة ٦٠٩ للهجرة (١٢١٢ للميلاد). وعلاوة على تمسكهم بالخط النسخي اشتهر الموحدون بإدخال المسكوكات المربعة الشكل (لاسيما الدراهم منها) والشعارات الدينية والآيات القرآنية[٢].

تقيدت دولة بني الأحمر في غرناطة (٦٢٩-٨٩٨ هـ/ ١٢٣١-١٤٩٢ م) بنموذج الموحدين في طرائق ضرب النقود المعدنية ووزنها وشكلها. وبيت السك الغرناطي هو الأخير في تاريخ الأندلس. وتشريفا لعهدهم بالجمال والتزويق والزخرفة تفنن بنو الأحمر في صنع المسكوكات وهي من أجمل ما ضرب في الأندلس على مرور الأزمنة. ولم تخل عملاتهم المعدنية من شعارهم الشهير «لا غالب إلا الله». وإلى جانب اسم الأمير ولقبه (ويذكر أن عدد أمراء غرناطة وصل إلى ٢٣ أميرا) يرد اسم بيت السكة، ومقرها غرناطة. ولم يظهر التاريخ، كما في حقبة الموحدين، وظل الدينار هو السكة السائدة. وامتازت المسكوكات الغرناطية برونقة الخط وهندامه[٣].

١- ويتوفر لدينا منهج متكامل في تاريخ المسكوكات الإسلامية العربية في الأندلس حيث تستعرض أهم مراحلها في:

Medina Gómez، Antonio، Monedas hispano-musulmanas، Toledo، Instituto Provincial de Investigaciones y Estudios toledanos، 1992.

٢- انظر عن هذه الفترة:

Medina Gómez، المصدر السابق، ص. ٣٩٦-٤٠٠.

٣- انظر في مسيرة المسكوكات الأندلسية الكتاب «القطع المعدنية الأندلسية» (مجموعة المسكوكات

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الكتابات العربية على المجوهرات والمنسوجات ومواد أخرى

وقد زينت السلع الترفيهية أيضا، مثل المجوهرات والصناديق الصغيرة والأقمشة والأدوات المنزلية، بنقوش كتابية متقنة تروي المدائح والأقوال المأثورة. وأقدم الحرفيون الأندلسيون على وضع زخارف خطية جميلة على صناديق حفظ نسخ القرآن الكريم والمحابر والمقالم وغيرها من الأدوات المدرسية، كما أنهم نحتوا النقوش الكتابية على عظم لوح كتف الحيوانات أو نقروها على ألواح من الخشب بغية تسهيل مهمة التعليم، على غرار تلك التي كانت مستخدمة في المدارس القرآنية التقليدية.

هذا واعتاد أبناء الأندلس نقش أبيات الشعر على المطرزات، حيث يحدثنا ابن بسام في ذخيرته أن الأميرة ولادة طرزت بيتي شعر على عاتقي ثوبها[1]، في حين تورد مصادر أخرى قيام شعراء ووجهاء آخرين بأعمال مماثلة. فلا نزال نحتفظ بستائر وألبسة أندلسية تظهر عليها زخارف الأرابيسك وتقليد الخط العربي المرقن،غير أنها قليلة وتتوزع على متاحف ومؤسسات ثقافية متفرقة. ومن أشهر المطرزات الأندلسية المكتوب عليها أحرف عربية «رداء (بُرد) القديس توما كنتربوري الإنكليزي» المحفوظ في كنيسة فيرمو وسط إيطاليا وهو قماش خصص في الأول لتكفين أحد الأمراء المرابطين، ويعتقد أنه نسج في مدينة ألمرية بين سنتي ٥١٠-٥١١ للهجرة. وبما أن النبلاء والمطارنة الأوروبيين كانوا مولعين بالأقمشة العربية المطرزة لاسيما المصنوعة في الأندلس منها، فإنهم بذلوا جهدهم في سبيل الحصول عليها باستمرار. ويرجح أن تكون هذه العباءة هدية استلمها رجل الدين البريطاني من أحد الخواص المسلمين الأندلسيين، ولها أهمية قصوى إذ إنها من المطرزات العربية القليلة المحفوظة بصورة كاملة. وزُوّق طرازه بعدة كتابات بخط عربي رائع تورد تاريخ الصنع ومكانه. وكان طراز الرداء الإسلامي التقليدي يحمل معلومات من هذا القبيل بخط ذهبي إلى جانب اسم الملك ولقبه وكان يلصق بالأكمام.

الأندلسية المحفوظة في دار السكة بمدريد) وهو مصدر رئيسي عولنا عليه تعويلا كبيرا لدى إعدادنا الفصل الخاص بالمسكوكات:

Canto، Alberto y Tawfiq Ibn Hafiz Ibrahim، Moneda andalusí. La colección del Museo Casa de la Moneda، Madrid، 2004، ص. 128-142

١- انظر ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، المجلد الأول، ق. ١، ص. ٤٢٩.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

وتماثل تقنيات الكتابة على الأقمشة وتزيينها النماذج السائدة في بغداد إبان المرحلة الأولى من الخلافة العباسية[١].

لدينا بقايا من أقمشة وأنسجة تم العثور عليها في قصور الملوك النصارى الإسبانيين وهي مطرزة بكتابات عربية، مثل تلك المخدة العائدةّ إلى أيام العاهل القشتالي سانشو الرابع وتظهر عليها عبارتا «المُلك» و«اليمن». وهناك من يعتقد أنّها من تأليف فنانين مدجنين عمدوا كذلك إلى تزيين جدران قصور الملوك النصارى مثل بطرس القاسي بالعبارات نفسها[٢]. إن هذه الأمثلة تبرهن مرة أخرى على افتتان النصارى الإسبانيين بفنون الإسلامية الأندلسية ورغبتهم في تقليدها، مما دفعهم إلى استقدام الحرفيين المسلمين واعتبار الخط العربي نموذجا زخرفيا يحتذى به. وأعجب النصارى الأوروبيون هم الآخرون بالمطرزات الأندلسية والعربية. ويسهل علينا لمس هذا الإعجاب في العصور الوسطى وحقبة النهضة الأوروبية كما في لوحة الفنان الإيطالي بابلو فينيزيانو («تتويج العذراء») في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر ميلادي، ونشاهد فيها رداء مطرزا بالرقش العربي، أو في أحد رسوم الفنان الألماني هولبين (القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد) ويظهر قماشا بتصاميم عربية. أو في بقايا لأقمشة محفوظة في عدد من الكنائس والكاتدرائيات الأوروبية تشهد على مشاركة فنانين مسلمين في عملية تزويقها. ولذلك ليس من الاستثنائي أن نجد أدوات مختلفة، من صلبان فضية

١- انظر: شيامبيني، لاوران «رداء فيرمو، من مسنوجات الأندلس»، في الكتاب الجماعي «الفن والثقافة. التراث الإسلامي الإسباني في الأندلس»، جامعة غرناطة، ٢٠٠٩، ص. ١٧١-١٧٢.

Ciampini، Laura، “La capa de Fermo: un bordado de Al-Andalus”، Arte y cultura. .Patrimonio Hispanomusulmán en al-Andalus، Universidad de Granada، 2009

٢- انظر مقالا باللغة الإسبانية ويحلل نزعة الملوك النصارى الإسبانيين إلى اعتماد الزخرفة الكتابية العربية في:

Marquer،Julie، « Epigrafía y poder: el uso de las inscripcionesárabes en el e-Spania [En ligne]، ،« (1369-proyectopropagandístico de Pedro I de Castilla (1350 13 | juin 2012، mis en ligne le 25 juin 2012، consulté le 22 mars 2015. URL : http: //e-spania.revues.org/21058 ; DOI : 10.4000/e-spania.21058

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

إلى رداءات مرورا بكؤوس وصحون، تحمل كتابات بالعربية تمثل البسملة أو الشهادة أو الصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[١].

كتابة المصاحف والمخطوطات

منذ تطور الكتابة العربية في القرن الأول للهجرة جرى استخدامها لتدوين الكتب وترقينها، ولكنه لم يلبث أن تحول أيضا إلى عنصر زخرفي، كما أثبتنا وقلنا مرارا خلال هذا البحث. وامتلأت المدارس، شأنها المساجد والأضرحة والقصور، بالأدعية والابتهالات الدينية والأشعار المكتوبة والأقوال المأثورة. وقد سمح ذلك بتقريب النصوص لأولئك الذين لم يكن لديهم حظّ في امتلاك الكتب[٢].

ويقدر الخبراء عدد المخطوطات القرآنية الأندلسية المتبقية اليوم بما يناهز الاثني عشر[٣]، إلا أنّه من الصعب بمكان تمييز المصاحف الأندلسية عن المغربية لأنها تتقاسم خصائص متعددة شكلا ومضمونا[٤]، وأكثر من ذلك فإن الخط الأندلسي يعتبره البعض امتدادا للمغربي الأصيل. لذلك فإن فالسبيل الوحيد للتحقق من المصدر الصحيح قد يتمثل في العثور على هوامش وإيضاحات يخبرنا بها الناسخ بمكان النسخ أو لصالح من

١- قاجة،موسوعة فن العمارة الإسلامية، ص. ٤٠٥.

٢- من كتاب قلم. فن الكتاب، الرباط/ بلنسية، مطبع بيرنيتا، ٢٠١٠:»النقوش الكتابية في الفن الإسلامي»، (مقال تحرره المؤسسة الثقافية الإسلامية، مدريد) ص. ١٤٣-١٤٤.

٣- العدد الإجمالي لمخطوطات المصاحف الأندلسية المتبقية يقارب الاثني عشر كما جاء في البحث، وذلك لأن الخبراء خلصوا فقط إلى التأكد من صحة تلك وأصالتها، علما بأن هناك عشرات البقايا القرآنية تنسب بالخطأ إلى الفترة الأندلسية وهي في الأصل أنجزت في المغرب أو على أيدي موريسكيين في المنفى (أو في أيام المالك النصرانية الإسبانية، أي بعد زوال الحقبة الأندلسية)، ولذلك نشدد على أن عدد المصاحف التي يمكننا الجزم بأنها أندلسية دون المخاطرة هو العدد المذكور.

٤- انظر:

James، D.،The master scribes : Qur'ans of the 10th to 14th centuries AD،. London و .TheNourFoundation

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

تمت عملية التسطير[1]. لذلك، كثرت الأخطاء في محاولات تحديد هوية هذه المصاحف إذ نسب الكثير منها إلى خطاطين مغاربة دون وجه حق، أو إلى فنانين أندلسيين، خاصة وأن الخطاطين المغاربة والأندلسيين كانوا يتناقلون عبر ضفتي المتوسط، جنوبا وشمالا، باستمرارية للقيام بأعمالهم في أماكن كثيرة. وتنطبق حالة الالتباس هذه على مخطوط «بياض ورياض» ويحكي قصة حب وقعت أحداثها في الشام والعراق، وتعد إحدى قمم فن الترنيق والتصوير في ديار الإسلام الغربية، وما زلنا نجهل هل هو مغربي أم أندلسي[2]. وليس من المستغرب أن تلجأ المتاحف التي تعرض نسخا قرآنية قديمة إلى الاصطلاح «مصحف مغربي أو أندلسي» أو ما شابه.

هناك خطاطون أثبوا مهارتهم في نسخ المصاحف مثل محمد بن أنّوس وأفراد عائلته في مدينة بلنسية في القرن السادس للهجرة، وكان الأندلسيون يضربون المثل فيهم لحسن الترقين والمرجعية في نسخ المصاحف[3]. وأقدم النسخ القرآنية الموجودة حليا هي النسخة التي عرضت للمزاد في ٢٠٠٨ بدار كريستي في لندن وهي مؤرخة في السنة ٤٧٠ للهجرة في مدينة قرطبة، من تأليف حنين بن إسحاق[4]. ونملك اليوم نسخا أخرى أنجزت في إشبيلية وسبتة، ويجب أن تضاف إليها النسخ العائدة إلى الموريسكيين، أي المسلمين الذين بقوا في الأندلس بعد سقوط غرناطة وإجبار الملوك الإسبانيين على ترك عاداتهم الإسلامية.

١- انظر مقالا نشره موقع «ويب الإسلام» ويحمل عنوان «العثور على مخطوطة قرآنية في تيلاندا قد تعود إلى أيام الأندلس» في

http: //www.webislam.com /articulos /97268-un_coran_de_alandalus_con_mas_de_800_anos.html

(تاريخ المراجعة: ١٢ أبريل/ نيسان ٢٠١٥)

٢- انظر البهنسي، عفيف،الفن الإسلامي، دمشق، دار طلاس، ١٩٨٦، ص. ٩٩-١٠٠

٣- انظر نبذة عن سيرة عائلة الخطاطين هذه في:

Torres Santo Domingo، Nuria، المصدر السابق،

٤- المصدر ذاته.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

صور مرافقة للبحث بشأن النقوش الكتابية العربية في الأندلس

■ **لوحة جنائزية عثر عليها في مدينة مدريد الأندلسية:**



http: / /mcv.revues.org /docannexe /image /3907 /img-1.jpg

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ **صندوق مدور من العاج، كتدرائية ثامورا، إسبانيا، الخط الكوفي.٣٥٣ هـ / ٩٦٤-٩٦٥ ق.م**



متوفر في:

http://www.bing.com/images/search?q=bote+de+marfil+catedral+de+zamora&view=detailv2&&&id=88D72C7B7774FBE1C2A5527DC7E08ABF0F7822E0&selectedIndex=18&ccid=SdLSBC8N&simid=608013098802613337&thid=JN.H4stkC4e8mAAohvGIeA1sw&ajaxhist=0

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ **صندوق مربع من العاج بالخط الكوفي المجرد وزخارف زهرية، ٣٩٥ هـ. المحفوظ في نفارا، شمال إسبانيا.**



متوفر في:

http: / /www.bing.com /images /search?q=arqueta+de+leyrel&view=detailv2&&&id=A4465D770B741FA7084C1C839F9F8BA718F1917C&selectedIndex=1&ccid=WdJMI7yA&simid=608044709771413919&thid=JN.HFfvgByOYvzkMXKON5ECIw&ajaxhist=0

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ **نقوش على جدران الحمراء، غرناطة وشعار «لا غالب إلا الله»**
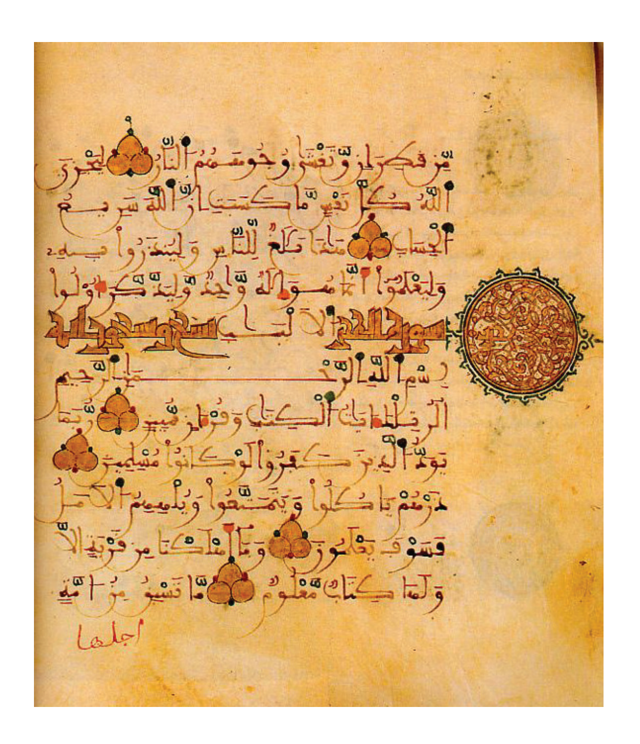


متوفر في العنوان التالي:

http: / /www.bing.com /images /search?q=inscripciones+%c3%a1rabes+espa%c3%b1a&view=detailv2&&&id=E024B3ACCDAF1D8805C9E0E5DA539ADC7421DB48&selectedIndex=2&ccid=CZKPy%2f4s&simid=608046513649749947&thid=JN.XXELbkA72t7oJEYMRzpqkw&ajaxhist=0

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ **مخطوطة أندلسية، القرآن:**

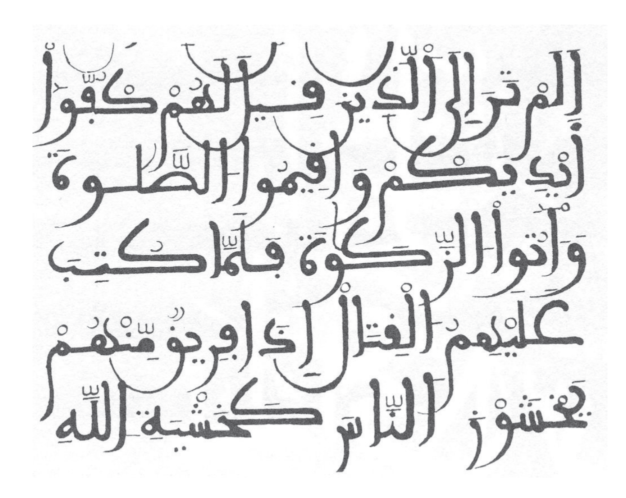


متوفر في العنوان التالي:

https: / /commons.wikimedia.org /wiki /File:AndalusQuran.JPG?uselang=es

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

■ **نموذج من الخط الأندلسي، مصحف، قرطبة:**



https: / /ar.wikipedia.org /wiki /٪D8٪AE٪D8٪B7_٪D8٪A3٪D986٪٪D8٪AF٪D9٪84٪D8٪B3٪D98٪A?uselang=es

■ **نقوش كتابية على جدران القصر الملكي، إشبيلية:**



هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

خاتمة

د. ماء العينين ماء العينين العتيق
جامعة غرناطة

لقد ضُرِبَ بيننا وبين المَلمح الثقافي العربيّ لإسبانيا بِسُورٍ، باطِنُه فيه العكوف على الحنين للتراث الأندلسيّ بكلّ تمثّلاته، وظاهرُه مِن قِبَلِه التّقصيرُ في التواصل مع المجتمع الإسباني، مؤسّساتٍ وباحثينَ وأفرادا، وما الكتابُ الذي خُضْتَه، أيها القارئُ الكريم، إلاّ بابٌ للسُّورِ يُفضي إلى جَوهرِه، دونَ عناءٍ عند ظاهرِه، ولا اعتِناءٍ بباطِنه.

هذا الجوهرُ العربيّ الذي تحتضنُه الصَّدَفة الإيبيريّة، صَقلَتهُ ثمانية قُرونٍ من التعايُش، الذي شهِد مدّا وجزْرا، طِوالَ تلك القرون وما أعقَبَها، بَيْد أنّه بِقدر ما أَثْرى الهويّة الإسبانية، فقدْ أضافَ الكثير كذلك للثّقافة العربيّة.

إنّ ممّا ينبغي الوقوفُ عليه في هذا الصّدد، جملة من الخلاصات المرتبطة بموضوع الكتاب، مفْضِية إلى عدد من التوصيات، وذلك وفقَ الآتي:

الخلاصات:

- اللغة العربية عنصر من مكوّنات الهوية الإسبانية.
- بين اللغتين العربية والإسبانية تداخلٌ كبير.
- المراكز والهيئات البحثية الإسبانية باب رحبٌ لدراسة الثقافة العربية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

التوصيات:

- الدعوة إلى تبنّي الجهات الرسمية الإسبانية سياسة بحثٍ وتنقيب، تكشف الحجُب عن ذخائر التراث العربي الأثري والمخطوط، والعناية بها كما ينبغي، حتى تتسنّى الاستفادةُ المثلى منها.

- حثّ المؤسسات العربية المعنية بشأن اللغة العربية على التواصل مع نظيراتها الإسبانية، من جامعات ومؤسسات ومراكز ومعاهد وهيئات، حكومية وخاصة، عملا على تأسيس علاقات شراكة وتعاون، تدعمُ تداولَ اللغة العربية في إسبانيا في الاتجاهيْن الأكاديمي والبحثي، وذلك عبر التبادل الثقافي للأساتذة والطلبة وتناقل الخبرات، وتعزيز حركة النشر، وتنظيم لقاءات علمية مشتركة.

- إشراك الملحقيّات الثقافية للسّفارات العربية بإسبانيا، في دعم وجود اللغة العربية وتعزيزه على شتى المجالات في إسبانيا.

ومساهمة في التواصل بين الهيئات التعليمية والبحثية العربية والإسبانية، ذات النّزوع المشترك للاهتمام بالثقافة العربية، يُذَيَّلُ الكتابُ بمُلحقٍ يضمُّ أبرز مؤسسات التدريس والبحث، المعنية باللغة العربية، في إسبانيا.

وختاما، هذا الكتاب أهَّلَه مضمونُه ليكونَ لبنة في صرح الدراسات الجادّة التي تعنى باللغة العربية، وكيْ يرصّ بُنْيانها ينبغي أن تَحُفَّ الدراسةَ مثيلاتُها في هذا الصّدد، على أن فضل التقدّم يبقى لمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، في دراسة الموضوع بهذا السياق الفريد.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

ملحق
أبرز مؤسسات التدريس والبحث المعنية باللغة العربية في إسبانيا

أقسام الدراسات العربية والإسلامية	المواقع الإلكترونية
جامعة غرناطة	http: / /www.ugr.es /~estsemi /arabes.html
جامعة مدريد	www.uam.es /ss /Satellite /FilosofiayLetras / es /1242658435324 /subhomeDepartamento /Estudios_ Arabes_e_Islamicos_y_Estudios_Orientales.htm
جامعة كومبلوتينسي	www.ucm.es /estudiosarabislam
جامعة برشلونة	/http: / /www.ub.edu /arab
جامعة إشبيلية	www.us.es /centros /departamentos /departamento_1040
جامعة سلمنقة	http: / /lenguaesp.usal.es /html /es /user /teacher /area.html
جامعة ألمرية	http: / /cms.ual.es /UAL /universidad /departamentos / filologia /areas /index.html
جامعة أليكانت	www.ua.es /estudios-arabes-e-islamicos.html

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

جامعة قرطبة	http: / /www.uca.es /dpto /C114 /estudios /planes
جامعة قادس	http: / /filosofia.uca.es /estudios /grados /estudios-arabes-islamicos
جامعة مرسية	http: / /www.um.es /web /filfria /contenido /docencia
جامعة مالقة	http: / /www.uma.es /departamentos /info /4622 / departamento-filologia-griega-estudios-arabes-linguistica-/y-documentacion

المدارس الرسمية للّغات	المواقع الإلكترونية
معهد غرناطة	www.eoidegranada.org
معهد مالقة	www.eoimalaga.com
معهد إشبيلية	www.eoisevilla.com
معهد قرطبة	www.eoicordoba.es
معهد مربيا	www.eoimarbella.es
معهد ألمرية	www.eoialmeria.org
معهد مدريد	www.educa2.madrid.org
معهد ميورقة	www.eoipalma.com
معهد برشلونة	www.eoibd.cat /es
معهد تنيريفي	www.eoisantacruzdetenerife.com
معهد بالنثيا	www.eoidepalencia.es
معهد قرطاجنة	www.eoicartagena.org
معهد طراغونة	www.eoitarragona.cat
معهد جيرونة	www.eoigirona.com

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

معهد بمبلونة	www.eoip.educacion.navarra.es
معهد مرسية	www.eoimurcia.org
معهدليريدا	www.eoilleida.org
معهد مليلية	www.eoimelilla.com
معهد سبتة	www.eoiceuta.com
معهد كاستيون	www.eoicastello.es
معهد إلخيدو	http: / /www.juntadeandalucia.es / averroes /~04700314 /eoi /index.php?option=com_content&view=section&layout=blog&id=10&Itemid=15
معهد لاكورونيا	www.eoicoruna.org

هيئات البحث المعنية بالثقافة العربية	المواقع الإلكترونية
المعهد المصري بمدريد	http / /institutoegipcio.es
مدرسة الدراسات العربية في غرناطة ومدريد	www.eea.csic.es
معهد اللغات وثقافة البحر المتوسط	http: / /www.ilc.csic.es
معهد ميلا وفونتانايس	http: / /www.imf.csic.es
معهد الدراسات الإسلامية للشرق الأدنى في سرقسطة	www.ieiop.csic.es
المؤسسة العامة للتراث الأندلسي في غرناطة	www.legadoandalusi.es
الجمعية الإسبانية للدراسات العربية	www.estudiosarabes.org
مركز دراسات موديجار في أراغون	http: / /cem.deteruel.es
مدرسة الألسن والترجمة في طليطلة	www.uclm.es /escueladetraductores
المؤسسة الأوروبية العربية للدراسات العليا في غرناطة	www.fundea.org

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اتحاد الثقافات المتوسطية الثلاث في إشبيلية	www.tresculturas.org
المركز الثقافي الإسلامي في بلنسية	www.webcciv.org
الاتحاد الثقافي الإسلامي	www.funci.org
البيت العربي في مدريد وقرطبة	www.casaarabe.ieam.es
الاتحاد الثقافي في جامعة سرقسطة	www.unizar.es /sabil
مؤسسة ابن طفيل للدراسات العربية في ألمرية	www.ibntufayl.org

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

الفهرس

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

هيئة تحرير الكتاب

د. ماء العينين ماء العينين العتيق

ولد عام ١٤٠١/ ١٩٨١ بسوس – المغرب،

أستاذ الدراسات العربية بجامعة غرناطة،

المكلف بالشؤون الثقافية والتعاون،سابقا، بجامعة الحسن الأول – المغرب،شاعر.

د. إغناثيو كوتيرّث دي تران كومث بنيتا

ولد عام ١٩٦٧ بمدريد – إسبانيا،

أستاذ الدراسات العربية والترجمة بجامعة مدريد المستقلة،

له العديد من الإصدارات في القضايا الاجتماعية والسياسية العربية،

مترجم محلف، عربي – إسباني – عربي.

د. إغناثيو فيراندو فروتوس

ولد عام ١٩٦٦ بسرقسطة – إسبانيا،

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

أستاذ الدراسات العربية والترجمة بجامعة قادس،
له العديد من الإصدارات في القضايا اللغوية والأدبية العربية،
مترجم محلف، عربي – إسباني – عربي.

د. نيقولاس روزير نبوت

ولد عام ١٩٦٢ بميورقة – إسبانيا،
أستاذ الدراسات العربية والترجمة بجامعة مالقة،
له العديد من الإصدارات في القضايا التعليمية والثقافية العربية،
مترجم محلف، عربي – إسباني – عربي.

د. باربارا بولويكس غالاردو

ولدت عام ١٩٧٨ بغرناطة – إسبانيا،
أستاذة الدراسات العربية والترجمة بجامعة غرناطة،
لها العديد من الإصدارات في القضايا التوثيقية والتاريخية العربية.

هذه الطبعة إهداء من المركز ولا يسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

اللغة العربية في إسبانيا

ليس بِدعا أن تشعر، إبّان تجوالك في إسبانيا، بروح عربية تحفّك أنّى حللت، حتى لا تكاد تنوء فيها بالغربة، كما في غيرها من بلاد أوروبا. هذه الروح التي تسري في إسبانيا، هوائها ومائها، وأشجارها وديارها، لا تفتأ تراها جليّة على جدرانها، ولا تنفكّ تحسّ بها خفيّة في سكّانها.

هو نداء تلك الروح العربية ما أهوى أبناءَ الضاد إلى هذه الأرض أقدامَهم، وأسكنوها أحلامَهم، إذ نشأت عُرى ممتدّة في القرون بينهم وإياها. هنا عانق الشيحُ والقيصومُ النّرجسَ والرّمان، وشمَّت نخلةُ الدّاخلِ على بساط الوادي الكبير. لم تغادر العربيةُ إسبانيا بعد الأندلُس، بل ظلّت كامنة تَلوح طَوْرا وتحتجب طوْرا، على تبايُن الطّالبين.

هناك بين نهر حَدرّة وجبال الشّارات، حيثُ يُكلِّلُ تلَّ السَّبيكة قصرُ الحمراء، جمعتني وأعضاءَ وفد مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية أحاديثُ رائقةٌ عن الأندلسِ تاريخا وأدَبا، مستوْحِينَ مدادَها من أرجاءِ الحمراء وجنّاتِ العريف. وهناك نشأتْ بذرةٌ عن فكرة هذا الكتاب.

ما إنْ عاد أعضاء الوفد إلى بلادهم، حتى ألْفيتُ الأخَ الفاضل الدكتور عبد الله الوشمي، الأمينَ العامَّ للمركز يهاتفني بالفكرةِ مكتملةَ العناصرِ: العمل على تحرير كتاب عن "اللغة العربية في إسبانيا"، بُغيةَ تعميق التواصل الثقافي بين الحضارتين العربية والإسبانية، فضلا عن رغبة المركز في الاحتفاء بالجهود المميَّزة للعلماء الإسبان في دراسة اللغة العربية ونشرها، على أن يكون مُحرِّرو موضوعاته من الإسبان غيرِ ذوي الأصول العربية، وأن يقدّموا أعمالهم باللغة العربية.

د. ماء العينين ماء العينين العتيق







ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

